

## جمال عبد الناصر<sup>(١)</sup>

قامت ثورة ٢٣ يوليو ولم يكن عميد الأدب العربي في مصر، فقد كان في رحلته الصيفية بإيطاليا، وما كادت تصل إلى سمعه أخبار هذه الثورة حتى كتب إلى صديقه الأستاذ توفيق الحكيم قائلاً: كم كنت أحب أن أكون معك في مصر، أو أن تكون معي في أوروبا أثناء هذه الأيام التي تنشر فيها مصر من تاريخها كتاباً وتطوى كتاباً، ثم يقول في هذه الرسالة أيضاً: ويخيل إلى أن للأدب حقه في هذه الثورة الرائعة، هيا لها قبل أن تكون وسيصورها بعد أن كانت.

وأعتقد أن الأمر لو كان بيد العميد لأسرع عائداً إلى القاهرة غير عابئ بحرها الشديد الذي كان يضيق به أشد الضيق، ولكن الأمر كان بيد زوجه، فهي التي كانت تنظم مواعيد السفر والعودة، وأماكن الإقامة

---

(١) ولد جمال عبد الناصر سنة: ١٣٣٦هـ - ١٩١٨ بقرية بني مر بمحافظة أسيوط وتخرج في الكلية الحربية سنة ١٩٣٨ م ودرس بها وشارك في حرب فلسطين، وكان من الضباط الأحرار الذين قاموا بثورة يوليو سنة ١٩٥٢، تولى رئاسة الجمهورية سنة ١٩٥٦، وفي عهده تم تأميم قناة السويس، وقيام الوحدة بين مصر وسوريا سنة ١٩٥٨ وإن لم تستمر سوى ثلاث سنوات كما تم بناء السد العالي. توفي سنة: ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

وسوى ذلك من شئون رحلة الصيف، وما كان العميد يناقش أو يعترض.

وقال عميد الأدب العربي: كان جمال عبد الناصر يعرف كامل الشناوى وقد قال له: أحب أن أرى الدكتور طه حسين، واتصل بى كامل الشناوى وكان ذلك بعد عودتى من أوروبا.

وذهبت بعد ذلك إلى لقاء عبد الناصر فى مجلس قيادة الثورة، وكان بما حدثنى به فى هذا اللقاء أنه كان يقرأ لى وهو طالب مقلاتى التى كان عنوانها كلمة واحدة، وأنه كان يحتفظ بالقرش الذى كان يأخذه من والده ليشتري الصحيفة التى ينشر فيها المقال.

ويقول العميد: وتعددت لقاءاتنا وكان بعضها فى بيته الخاص وكان اللقاء الواحد يستمر أكثر من ساعة أحياناً، وفى أول لقاء معه فى منزله أخذ الرئيس جمال يصف لى مقاعد حجرة الاستقبال ثم قال لى: حتى لا تصنق ما يقال من أنى نقلت حجرة صالون عابدين إلى بيتى.

وفى لقاء آخر بمجلس قيادة الثورة جرى بينى وبين الرئيس جمال حديث حول قضية الأسلحة الفاسدة وأن المحكمة قد برأت المتهمين، وقال لى عبد الناصر: إذن يجب أن نقتل فى ميدان عابدين، فقلت للرئيس: إن هذا الحكم يدل على أنكم تركتم القضاء حراً دون تأثير عليه، وهذا أمر يُحمد لكم، فرد الرئيس: قل هذا لمحمد نجيب أما أنا فلا.

ولما ألغت الدولة القضاء الشرعى كتب الدكتور طه حسين فى جريدة الجمهورية مقالة تحت عنوان: «الخطوة الثانية» طالب فيها بالقضاء على ثنائية التعليم عن طريق تطوير الأزهر، وتوحيد التعليم فى المرحلتين

الإعدادية والثانوية، وأثار هذا المقال الأزهريين وبعض المسؤولين، واتهم الدكتور بخدمة الفكر الاستعماري ومعاداة الإسلام، ويقول الدكتور طه : أذكر أن كنت في حفل حضره الرئيس جمال وكنت أجلس بجواره فقال لي : ما رأيك في الأزهر، إن الدول الإسلامية بدأت تنصرف عنه ولا ترسل أبناءها إليه، فقلت للرئيس : لقد طالبت بتطوير الأزهر ليساير الحياة، فاتهمني بعض المسؤولين بخدمة الاستعمار ومنهم الأستاذ إبراهيم الطحاوي، فقال الرئيس : دعك مما كتب الأستاذ الطحاوي، وأحب أن أعرف رأيك في إصلاح الأزهر، وقال الدكتور طه : وحدثت الرئيس في إيجاز عن رأيي الذي نشرته في الجمهورية، وصدر بعد ذلك قانون تطوير الأزهر وجعله جامعة، وأنا لا أوافق على أن يكون الأزهر جامعة كغيره من الجامعات، وكان الأولى أن يظل الأزهر يؤدي رسالته في خدمة الفكر الإسلامي واللغة العربية - دون أن يهتم بسوى ذلك من العلم - وأنا لا أفهم معنى لإنشاء كلية للطب وأخرى للمهندسة أو الزراعة في الأزهر.

وقال الدكتور عن علاقته بالرئيس جمال : كانت الثورة تعتقل بعض الناس فقلت للرئيس جمال يوماً : ما ذنب الأسر حين تعتقلون المنفق عليها، فقال لي : اطمئن، إذا اعتقلنا شخصاً وكان موظفاً فإن أسرته تأخذ راتبه وإذا لم يكن موظفاً طلبت من الأوقاف أن تدبر له ما يكفى أسرته كل شهر.

وفي سنة ١٩٦٥ يصدر الرئيس جمال قراراً بمنح الدكتور طه قلادة النيل، وهي أرفع وسام في مصر، ولم يستطع الدكتور حضور حفل عيد تعلم الذي وزعت فيه الجوائز والأوسمة بسبب ظروفه الصحية، وقد صب مني أن أرسل إلى الرئيس البرقية التالية :

## السيد رئيس الجمهورية

أرجو أن يتفضل السيد الرئيس فيقبل أصدق شكري وأعمق حبي  
وأخلص دعائي لسيادتكم بالنجاح والتوفيق والسعادة.

(طه حسين)

وأحضر القلادة إلى الدكتور كبير الأبناء وجرى حفل بسيط في منزل  
العميد سلمت فيه القلادة، وقال الدكتور طه لقد كان عبد الناصر صديقاً  
حميماً لي، والرجل أخلص لبلاده وجاهد من أجل حريتها واستقلالها، ولا  
يؤخذ عليه إلا أنه كان مستبداً برأيه، ولم يتح الفرصة لأحد يمكن أن يملأ  
فراغه

وفي الساعة السادسة والربع من مساء الاثنين الموافق ١٩٧٠/٩/٢٨  
مات جمال عبد الناصر، وفي اليوم التالي توقفت المواصلات في معظم  
شوارع القاهرة، بسبب الجماهير الفقيرة التي خرجت مذهولة لا تصدق  
النبأ، وأدركت أن الأستاذ روفائيل - وهو أحد الذين عملوا مع العميد  
بعد أن تركه الأستاذ فريد شحاته - لن يتمكن من الذهاب إلى الدكتور؛  
لأنه كان يسكن في ضاحية مصر الجديدة، ومن ثم اتصلت هاتفياً  
برامتان، وطلب مني العميد أن أذهب إليه في الخامسة والنصف مساءً،  
ولما دخلت عليه في هذا الموعد ألقته واجماً يلبس رباط عنق أسود وكانت  
أول كلمة قالها لي: أعظم الله أجرك، لقد روعت نبأ وفاة الرئيس ولم  
أعرف هذا إلا في صباح اليوم، وكل ما أرجوه أن يقى الله الأمة شر  
الخلاف والصراع من أجل الحكم، فالبلاد تمر بمرحلة دقيقة في حياتها،  
وفي أشد الحاجة إلى الترابط والتكتل، لقد كان عبد الناصر رمزاً لوحدة

الامة ونضالها من أجل نيل حقوقها، ثم قال إن الإرهاق الشديد كان من أسباب وفاة عبد الناصر، ولكل أجل كتاب، والرجل ألمه أبلغ الألم أحداث الأردن الأخيرة، وكان سعيه الدائب لوقف المذبحة الرهيبة هو الذى أدى به إلى هذه النهاية.

وفى يوم الاثنين الموافق ١٠/٥/١٩٧٠ عقد المجمع اللغوى جلسته الأولى فى دورته السابعة والثلاثين ورأسها الدكتور طه حسين، وقد استهلها بالكلمة التالية :

أيها الزملاء الأعزاء :

يؤسفنى أشد الأسف أن أبدأ هذه الجلسة الأولى من دورة جديدة لمجمعنا بما لا يلائم افتتاح هذه الدورة من الحزن والأسى واللوعة، وكلكم فيما أعتقد يجد فى نفسه شيئاً من هذه الآلام ومن الحزن والأسى واللوعة، لهذا النبأ الفظيع الذى فاجأنا فنغص حياتنا تنغيصاً لا نعرف له مثيلاً، لقد كنا نرجو، بل كنا نثق بأن الرئيس جمال عبد الناصر سيمد له فى الأجل لتحقيق أهداف الوطن، وهى مهمة لم تتح لأحد من قبل، وقد حاول موفقاً إلى أبعد الحدود إلغاء الطبقات والأخذ بيد الضعفاء والفقراء، وتحقيق المساواة الكاملة بين المواطنين، وحاول شيئاً ما أظنه حوول من قبله وهو أن يلائم بين الاشتراكية والديانات السماوية، فأدخل فى هذه البلاد اشتراكية لا تمس الإسلام ولا المسيحية ولا غيرها من الأديان السماوية بأذى ولو من بعيد، فالاشتراكية تمس نظام الحياة المالية والإدارية والإسلام بنوع خاص لا يريد إلا العدل فى كل هذه الأشياء .

وأشهد أنى عرفت الرئيس عبد الناصر مند أوائل الثورة، واتصلت بينه

وربني مودة كانت في غاية الإخاء وفي غاية المثانة . وله سنّ فضل لا أنساه . فهو قد تفضل ذات يوم وفاجأني بأن أهدى إلى قلادة النيل ، ولم يكن إهداء هذه القلادة للأفراد والمواطنين مألوفاً من قبل إلا إذا نهضوا بمنصب رئيس الوزارة ، وقد حدثته مرة في الذين يعتقلون وتعرض أسرهم لحياة عسرة فقال لي : اطمئن إذا كان المعتقل موظفاً فمرتبه يصرف لأسرته دائماً ، وإذا لم يكن موظفاً فوزارة الأوقاف تكفل أسرته حتى تتاح له الحرية ، وما أرسلت إليه برفية بتحية أو تهنئة إلا رد عليها بخير منها ، فكان صديقاً صادقاً وأخاً حميماً ، وكان بَرّاً عطوفاً على كل المواطنين .

وهذه كلها أخلاق قلما عرفناها في الذين ينهضون بالحكم ، ثم يكفى أن الرئيس جمال عبد الناصر قاد الحرب ضد إنجلترا وفرنسا وإسرائيل في سنة ١٩٥٦ ، ولا أنسى له خطبته في الأزهر الشريف التي كرر فيها كثيراً هذه الجملة «سنقاتل ولن نستسلم» ، والواقع أنه لم يعرف الاستسلام ولم يقبله في يوم من الأيام .

وعندما أصابتنا كارثة النكسة سنة ١٩٦٧ ثبت لها ثبوت الرجل الذي يعرف حق الشعب عليه ، وحق الوطن على الشعب ، كل هذا وكثير غيره من الأخلاق الكريمة الرصينة يذكرنا بهذا الرجل الذي فقدناه فجأة فذهب ضحية العمل والجهاد في سبيل الوطن وفي سبيل العروبة .

كل هذا أظنكم تذكرونه وستذكرونه كما أذكره ما بقينا ، وهذا أعظم وأثمن شيء يمكن أن نعمله لنسجل ونخلد حياة هذا الرجل الذي يستحق الخلود .

ومع الأسف الشديد أختتم هذه الكلمة ، ولو أتيج لي الوقت لأطلت

وأطلت وأطلت ولكنى أقف عند هذا . . وأظن أنكم توافقون على وقف  
الجلسة دقائق حدادًا عليه .

(فأوقفت الجلسة)

وقد نشرت هذه الكلمة في اليوم التالي بصحيفة الأهرام، ولكن بعد  
حذف الجزء الذي أشار فيه الدكتور إلى المعتقلين، كذلك لم يكن صحيحًا  
أن عميد الأدب العربي أصيب بالإغماء وهو يرثى عبد الناصر كما نشرت  
الأهرام .

وفي يوم الجمعة الموافق ١٦/١٠/١٩٧٠ كتب الأستاذ محمد حسين  
هيكل في الأهرام مقالة بعنوان «الأربع والعشرون ساعة الأخيرة» تحدث  
فيها عن اليوم الأخير في حياة عبد الناصر، وسرد في هذه المقالة الأحداث  
التي وقعت له، واهتم بتلك اللحظات التي مر بها عبد الناصر منذ انتهى  
من توديع أمير الكويت حتى أسلم الروح .

وختم الأستاذ هيكل مقاله بقوله : وكان جمال عبد الناصر في حياته  
أكبر من الحياة وكان جمال عبد الناصر بعد رحيله أكبر من الموت .

وقال الدكتور بعد قراءة هذه المقالة : إنها مقالة مؤثرة جدًا وكذلك  
المقالة التي كتبها في الأسبوع الماضي تحت عنوان «الصراع مع الألم»،  
ولكنه أضاف إلى هذا : ولا عيب على تلك المقالة سوى ما جاء في  
ختامها، فالجملة التي انتهت بها المقالة سخيفة جدًا .

فقلت له : لعل الأستاذ هيكل يعني أن جمال عبد الناصر بأجاده  
وجهاده حتى بيننا ولن ننساه فهو أكبر من الموت فهذا . . .

وصمت الدكتور دون تعقيب . . .

## حافظ إبراهيم<sup>(١)</sup>

كانت العلاقة بين حافظ والعميد على عكس ما كانت عليه بينه وبين شوقي، ويمكن القول بأن العميد كان يحب حافظًا ويقدر شعره، ولا يعنف عليه في النقد، قال العميد: إن حافظًا كان يقرأ على كثيرًا من قصائده قبل نشرها، وأذكر أنه زارني في مصر الجديدة ومعه شخصان أحدهما الشاعر محمد المروى، والآخر لا أذكر اسمه الآن، وبعد أن قرأ على قصيدة قد أعدّها للنشر قلت له: كويسة يا حافظ، فقال: أشهدا عليه حتى لا يتقدمها بعد ذلك.

وقد أنشدنا حافظ يومًا في جمع من الأدباء والساسة قصيدة مطلعها:  
قد مر عام يا أميم وعام وابن الكنانة في حاه يضم

---

(١) شاعر معاصر لقب بشاعر النيل أو شاعر الشعب، ولد سنة: ١٨٧١ م اشتغل بحاميا فترة، ثم التحق بالمدرسة الحربية، فتخرج فيها سنة ١٨٩١ م وعمل بالسودان ولكنه أحيل إلى التقاعد لأنه اتهم بالتآمر ضد الإنجليز ثم عمل بالصحافة وعين رئيسا للقسم الأدبي بدار الكتب سنة ١٩١٠ م وظل بهذه الدار إلى قبيل وفاته. كان قوي الحافظة راوية مرحا حاضر النكتة، بديع الالقاء كريم اليد، له ديوان في مجلدين، واليؤساء مترجم، وبعض الدراسات الاقتصادية. توفي بالقاهرة سنة ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م.

وكانت القصيدة نقدًا لاذعًا للحياة السياسية في البلاد، فقلت لحافظ  
إمام محمد محمود: لماذا لا تنشر هذه القصيدة؟ فقال: لا أحب أن أحال  
على المعاش.

وقال العميد بمناسبة الحديث عن الترجمة:

إن حافظًا حين كان يعمل في دار الكتب، فإنه كان يترك مكتبه ويجلس  
في قهوة مجاورة للدار، ويحضر إليه خليل مطران ويجلسان معاً يترجمان  
الكتب من الفرنسية إلى العربية، ثم قال:

لقد قامى حافظ كثيرًا في حياته وكان الإمام محمد عبده يعطف عليه،  
ويعطيه كل شهر مبلغًا من المال، كما كان يعطف عليه كذلك سعد  
زغلول، وما يروى عن حافظ أنه كان يسير في حى السيدة وتقدم منه  
سائل، فأخرج من جيبه نقودًا وأعطاه، وبعد لحظة جاء السائل يهول  
خلف حافظ ليقول: بإسعادة اليه أنت أعطيتنى جنيهاً ذهباً، فما كان من  
حافظ إلا أن قال له: نعم هو لك، ولما لاه بعض رفاقه قال لهم: إني  
قبل قليل أخذت من الشيخ محمد عبده عشرة جنيهات فلماذا لا أعطى  
هذا السائل منها جنيهاً.

وكان حافظ إبراهيم من أعلام الفكاهة في عصره، وما يرويه العميد  
من نكات حافظ أن البشرى وحافظًا دعيا إلى وليمة وقُدّم فيها السمك،  
وبعد انتهاء الأكل نظر حافظ إلى الأطباق على المائدة، فرأى كل طبق به  
بقايا عظم السمك إلا طبق البشرى، فقد كان خاليًا من العظم، فقال  
حافظ للبشرى: يا بن الكلب أكلت العظم مع اللحم، أنت فاطر أنه  
سمك بناتى..

## حفي ناصف<sup>(١)</sup>

قال عميد الأدب العربي :

إننا في الجامعة لم نتفع في دروس الأدب العربي إلا بمحاضرات نليتو<sup>(٢)</sup> والمرحوم حفي ناصف، وكذلك انتفعنا جدًا بمحاضرات سانتلانا<sup>(٣)</sup>.

إن حفي ناصف كان رجلاً متواضعاً، فهو أستاذ أجله كل الإجلال وأعترف بفضل الكبير على، وكان بالاضافة إلى تدريسه في الجامعة قاضياً بمحكمة طنطا، وأذكر من صور تواضعه وكرم خلقه أن الجريدة كانت قد نظمت مسابقة أدبية وجعلتني وحفي ناصف حَكَمَيْن في هذه المسابقة،

(١) حفي ناصف، قاض وأديب وشاعر، ولد سنة: ١٢٧٢هـ - ١٨٥٦م تعلم بالأزهر وتقلب في مناصب التعليم، ثم في مناصب القضاء، وعين أخيراً مفتشاً أول للغة العربية بوزارة المعارف، له عدة مؤلفات في تاريخ الأدب ولغة العرب. توفي سنة: ١٣٣٨هـ - ١٩١٩م

(٢) مستشرق إيطالي كبير، كان غزير العلم بالجغرافية والفلك عند العرب، ودرس في الجامعة القديمة ثلاث سنوات ١٩٠٩ - ١٩١٢ - عين عضواً بمجمع اللغة العربية واشترك في معظم لجانه وله مؤلفات وأبحاث عديدة.

(٣) مستشرق إيطالي، واهتم بدراسة الفقه الإسلامي وبخاصة المذهب المالكي. ترجم بعض كتبه إلى الإيطالية، ودرس الفلسفة الإسلامية في الجامعة الأهلية وله فيها محاضرات نفيسة.

وفي يوم كنت في مسكني مع أخى أحمد في درب الجماميز وكنا نسكن في الدور السادس، وكنت أجلس في السطوح ومعى صديقاي أحمد حسن الزيات وعمود زناق وإذا بحفنى ناصف قادم إلينا، وتجشم متاعب الصعود إلى السطوح مع كبر سنه، ولما شكرت له زيارتي في هذا المسكن الذى يرهق من يأتي إليه قال لى : إئنى لم أشأ أن أتعبك وأضيع وقتك، فحضرت إليك ومعى نصوص المسابقة لتنظر فيها ونحكم عليها، فكررت شكرى الجزيل على هذا وذاك.

فقلت للعميد : إن دل هذا على تواضع حفنى ناصف وتقديره لكم وحرصه على راحتكم ووقتكم فإن اختيار الجريدة لكم مع هذا الأستاذ الكريم يدل على أنكم قد بلغت شأواً طيباً في مجال الحياة الأدبية وأنتم ما زلتم في مرحلة الدراسة ؟

فقال : لقد كتبت في الجريدة فترة طويلة، كتبت فيها نثراً وشعراً كما كتبت في غيرها من الصحف والمجلات مثل اللواء والهداية، وذلك كله قبل سفرى إلى فرنسا.

وسألت العميد : هل جمعتم ما كتبتم قبل سفركم إلى فرنسا؟ فقال : لا وهو شئ كثير، ويكفى أن ما كتبه شعراً يصلح أن يكون ديواناً ولكنى غير راض عنه، ولا أذكر أنى بعد عودتى من البعثة قد قلت شعراً فقد تركته للشعراء.

أما ماكتبته نثراً فهو يبلغ أكثر من مجلد.

## زكى مبارك<sup>(١)</sup>

في نحو الساعة العاشرة والنصف من صباح الأربعاء الموافق ١٩٧٢/٢/٢ ذهبت إلى منزل العميد، فقال لى : سنخرج اليوم، وركبنا السيارة، واتجهت بنا نحو القناطر الخيرية، وكنت أقرأ له الصحف في الطريق أحياناً، وأحياناً أخرى نتحدث في بعض المسائل السياسية أو الأدبية، ولما تجاوزنا القناطر ودخلنا ستريس، قلت للعميد: نحن الآن في ستريس، فقال: بلد زكى مبارك، لقد كان بينى وبينه خلاف أو نفار، ولكن الدكتور أحمد أمين أصلح بيننا فرضيت عنه، فقلت له: يقال: إنكم السبب في خروج زكى مبارك من الجامعة، فقال: هذا غير صحيح ولكن خروج زكى مبارك يرجع إلى سلوكه الشخصى، فقد كان هذا السلوك يتنافى مع كرامة أستاذ الجامعة، فمثلاً ذكر لى فؤاد سراج الدين أنه كان ينجح في الامتحان حين كان يدرس بكلية الآداب قبل أن يتلقى

---

(١) زكى مبارك أديب من كبار الكتاب المعاصرين، ولد بقرية ستريس سنة ١٣٠٨ هـ - ١٨٩١ وتعلم في الأزهر، وحصل على الدكتوراه من الجامعة المصرية، وسافر إلى فرنسا ثم عاد ليعمل بالجامعة، وانتدب للعمل مدرساً في بغداد كذلك، عين مفتشاً بوزارة المعارف المصرية، له مؤلفات كثيرة في الأدب والنقد والتاريخ، وله شعر في بعضه جودة ولجديد. توفى بالقاهرة سنة: ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م

دروس كلية الحقوق - فقد كان النظام في ذلك الحين يفرض أن يدرس  
طلبة الحقوق في كلية الآداب بعض المناهج في اللغة والآداب قبل دراسة  
علوم الحقوق - ذكر لي فؤاد أنه كان لا يذكر علوم الآداب، وكان يعطى  
لرؤى مبارك زجاجة كولونيا فينجح في الامتحان.

فقلت للعميد :

وما رأيكم فيما يذهب إليه البعض من أنكم عملتم على إقصاء الدكتور  
أحمد ضيف من الجامعة، وشغلتم أنتم مكانه وأنكم وقفتم من الدكتور  
على العنان موقفاً مماثلاً؟<sup>(١)</sup> : ورد الدكتور في حماس وانفعال : أقسم أن  
هذا كذب وأن ما سمعت للإضرار بأحد في سبيل منفعة خاصة، والحقيقة  
أن الجامعة بعد أن أشرفت عليها الدولة وأصبحت رسمية عينت فيها  
أستاذاً، فغضب الدكتور ضيف وكذلك الدكتور عنان لعدم تعيينها كما  
عينت، وأنا لم أسمع للتعيين في درجة أستاذ والملك فؤاد هو الذى اقترح  
تعييني في درجة أستاذ، وإذن فما يقال من أنى سمعت للإضرار بأحد في  
سبيل مصلحة خاصة غير صحيح.

وبهذه المناسبة أذكر أن الدكتور ضيف أقام بفرنسا أكثر من عشرة  
أعوام، ولما أراد أن يكتب رسالة الدكتوراه لم يستطع أن يكتبها بنفسه،  
وذهب إلى شخص من هؤلاء الذين يكتبون الرسائل الجامعية لغير  
الفرنسيين، وجاءني بعد أن طبع الرسالة وقرأها على فوجدت فيها بعض  
النصوص التى تتعارض مع المفاهيم الإسلامية، ومنها نص يتعلق بذات

---

(١) يذهب إلى هذا المرحوم الدكتور عبد الحى دياب في كتابه «الإقطاع الفكرى».

الله ويصفه بأنه مركب فقلت للدكتور ضيف هذا خطأ، الله سبحانه ليس مركبًا، غير هذه الكلمة إلى كلمة مجرد، فكتب في صفحة الصواب والخطأ: مركب خطأ والصحيح مجرد، وفي يوم المناقشة، قال أحد الأساتذة الممتحنين: ليس معقولاً أن يخطئ عامل المطبعة فيضع كلمة مكان أخرى، ولم يستطع الدكتور ضيف أن يجيب.

ثم استطرد العميد فقال: لقد مكثت أنا في باريس نحو خمس سنوات حصلت فيها على الليسانس الخاصة، وهي درجة لا تعطى إلا لمن يدرس اللغة اللاتينية، وهو غير الليسانس الحر الذي يمكن الحصول عليه بسهولة، ثم حصلت بعد ذلك على دبلوم الدراسات العليا وهو يساوى الماجستير، وقد قدمت رسالة عن موضوع يتعلق بالدراسات اللاتينية، ولكني تتأكد اللجنة الممتحنة أنني أجيد اللاتينية قرأ على أحد الممتحنين نصاً معقداً وطلب مني ترجمته إلى الفرنسية فترجمته فوراً، فأمنت اللجنة بأن رجعت إلى المصادر الأصلية باللغة اللاتينية دون الاعتماد على الترجمات الفرنسية، ثم حصلت بعد ذلك على الدكتوراه عن ابن خلدون بدرجة ممتاز مع التهنئة وهي درجة رفيعة في فرنسا.

## سيد المرصفي<sup>(١)</sup>

الشيخ سيد المرصفي هو أحد أساتذة العميد الذين أثروا في حياته وكان لهم عليه فضل لا يقدر، لقد كان الشيخ المرصفي أستاذ الأدب في الأزهر، وكان له منهجه في شرح الكتب القديمة وتذوقها، وهو منهج رأى فيه الفتى ما لم يره في مناهج أساتذته في الأزهر فأحب أساتذه المرصفي، وأحب الأستاذ تلميذه وتعهده بالرعاية والتوجيه، وأصبح الأستاذ والتلميذ صديقين حميمين وإن حدثت بينها جفوة في آخر حياة الأستاذ.

كنت أقرأ للعميد يوماً في كتاب شرح نهج البلاغة، وورد نص شعري مؤلف من بيتين فقط، وبعد أن قرأتها قال العميد: إن البيتين في الحماسة وبينهما أبيات كثيرة وحاول أن يتذكر بعضها، وهنا قلت للدكتور: يبدو أنكم حفظتم الحماسة في سن مبكرة، فقال: نعم حفظتها وأنا بين

---

(١) عالم بالأدب واللغة، تولى تدريس الأدب واللغة بالأزهر، وكان من جماعة كبار العلماء به، ولما نالت منه الشيخوخة، وكسرت رجله عجز عن إلقاء دروسه بالأزهر، اعتكف في منزله بالقاهرة، وأقبل عليه طلاب الأدب فكان يعقد لهم حلقات الدرس إلى أن توفي سنة ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

له عدة كتب في خدمة التراث الأدبي منها: رغبة الأمل من كتاب الكامل ثمانية أجزاء، أسرار الحماسة في شرح ديوان الحماسة لأبي تمام.

١٥ ، ١٩ سنة ، وكان ذلك قبل دخولى الجامعة القديمة ، وكان يحفظها معى زميلاي الزيات وزناني ، وكان الشيخ المرصفي هو الذى وجهنا إلى حفظ الحماسة ، كما أنه كان فى دروسه - وبخاصة فى كتاب الكامل - إذا قرأنا قصيدة يقول لى : أنت مسئول عنها ، يعنى أنه يجب على أن أحفظها ؛ لأنه قد يطلب منى فى أثناء الدرس قراءة بعض أبياتها ، ويقول العميد : لقد كنت أحفظ القصيدة فور سماعى لها لأول مرة ، لقد حفظت شعراً كثيراً فى أيام الشباب ولكننى نسيت معظمه الآن ، وفى يوم طلب منى الدكتور أن أشعل له سيجارة ، ثم قال لى : إن الشيخ المرصفى هو سبب إقبالى على التدخين ، فقد كان الشيخ مدخنًا ، وكان يبعث أحد زملائنا ليشتري له علبة سجائر ، بقرش واحد ، وكانت تسمى « الفيل » ، وقد أخذت أتلد شيخى وأشتري هذا النوع من السجائر وأدخن ، وبهذه المناسبة كان إخوتى جميعًا يدخنون ، ولما علم أبى ثار وكان يذهب إلى والدتى ويؤنبها قائلاً لها : « أولادك كلهم بيشتربوا دخان حتى المقعوص طه » وفور سماعى لكلام والدى قلت له : وأنت مالك . فاعتبر والدى ردى عليه فى هذا الموضوع إهانة له وجراة غير عادية ، ويقول العميد : إن لوالدى الحق فى أن يرشدنى إذا انحرفت ، وله أيضًا أن يعاتبنى إذا أتيت أمرًا خطيرًا ، ولكن السجائر ليست أمرًا يستحق اللوم أو التأنيب ، وانتصرت على والدى حتى أنه بعد وجبات الطعام كان يأمر إحدى أخواتى أن تشعل لى سيجارة ، وقد جاء على وقت كنت أشرب فيه قدرًا كبيرًا ولكننى الآن لا أشرب إلا عددًا قليلًا ، ثلاثة فقط تقريبًا .

ولما نشر العميد قصيدته فى جريدة الحزب الوطنى والنسب هجا فيها شيوخ الأزهر وعلى رأسهم الشيخ الأكبر سليم البشرى ، لأنهم حضروا

حفلًا أقيم في فندق سافوي في ذكرى مرور عام على إنشاء مدرسة الدعوة والإرشاد التي كان يرأسها الشيخ رشيد رضا، ففي هذا الحفل دارت كؤوس الخمر على الحاضرين وطبعًا لم يشرب الشيوخ، بيد أنهم ما كان لهم أن يشاركوا في حفل ترتكب فيه المحرمات، ومن ثم هاجمهم الفتى هجومًا شديدًا، وأحفظ هذا الهجوم الشيوخ وبخاصة شيخ الأزهر، ودبر هذا في نفسه أمرًا، وأسرًا إلى بعض خاصته بما يريد وعرف الشيخ المرصفي بما يبيت للفتى النجيب فأزعجه وآله، ولكنه لا يملك القدرة على دفع ما عزم عليه الشيخ سليم، فقرر الذهاب إلى تلميذه في بيته وقال له : أنصحك يا بني ألا تدخل الامتحان هذا العام، وسأل الفتى في دهشة : لماذا؟ وقال أستاذه في ألم يشوبه الغضب : إنهم عازمون على إسقاطك، وعرف الفتى سر غضب الشيوخ عليه وعزمهم على إسقاطه لكنه مع هذا لم يستجب لنصيحة شيخه الذي يحبه ويقدره ويحدثني، العميد عن هذا الامتحان فيقول :

لم يزعجني ما عرفته؛ لأن ذاكرت دروسى مذاكرة جيدة، وألمت بها إلمامًا واقياً والذي حدث أن اللجنة التي كان مقرراً أن أمتحن أمامها كان يرأسها الشيخ عبد الحكم، ولما طلب الشيخ سليم من الشيخ عبد الحكم أن يرسل الفتى اعترض وقال : وإذا كان مذاكرا فكيف يرسل، وبأمر الشيخ الأكبر بإلغاء لجنة الشيخ عبد الحكم، وضاع على هذا الشيخ بسبب موقفه النبيل وجبة غداء ونحو ثلاثين قرشًا، مكافأة رئاسة اللجنة.

وتألف لجنة أخرى يرأسها الشيخ الدسوقي العربي تأتمر بأمر الشيخ البشرى، ويدخل الطالب حجرة اللجنة رابط الجأش واثقًا من نفسه،

ويجلس أمام اللجنة ليُقدم إليه رئيسها بقية كوب من الشاي كان يحتويه قائلاً له : اشرب هذا لتحصل لك البركة، ويشرب الطالب سؤر شايه، وحصلت له البركة فرسب في الامتحان.

لقد امتحنت اللجنة الطالب في مادة أصول الفقه وأجاب الطالب إجابة وافية، وبدلف الشيخ البشرى إلى حجرة الامتحان ليقول إلى رئيس اللجنة : ارفق به يا شيخ دسوقي حرام عليك، ورفق الشيخ بالطالب رفقاً عجيباً، وذلك أن الطالب بعد أن انتهى من مادة أصول الفقه طلب منه أن يستريح بعض الوقت في حجرة أخرى، ويخرج الطالب ليجد شيخ الأزهر جالساً أمام حجرة الامتحان ليتأكد من أن اللجنة حققت ما طلبه منها.

وبعد أن جلس الطالب وقتاً قصيراً فوجئ بمن يدخل عليه ليسلمه حافظه أوراقه وكتبه، ومعنى هذا أن الطالب قد رسب فيما امتحن فيه ولن يواصل الامتحان في سائر العلوم وحمل الطالب النجيب أوراقه غير آسف ولا حزين ليسرع إلى الجامعة الأهلية التي التحق بها منذ إنشائها في سنة ١٩٠٨.

ويعلق العميد على ما حدث له في هذا الامتحان قائلاً : لقد كان الأزهر مُلكاً في ذلك العهد، وأظنه ما زال كذلك الآن.

ويقول العميد : وكان نجاحي في الجامعة الأهلية مصدر سعادة غامرة لأستاذي الشيخ المرصفي الذي أدين له بالفضل في دراستي للأدب العربي القديم، وبعد عودتي من أوروبا وفي أيام علاقتي الطيبة بالملك فؤاد، كلمت الملك عن الشيخ المرصفي وأشدت بعلمه ومكانته وأنه غير لائق

أن يظل راتبه ثلاثة جنيهاً بالإضافة إلى جناية الخبز، وطلب الملك مقابلة الشيخ المرصفي، وذهبت معه إلى السراي، وانتظرت مع كبير الأمناء في الطابق الأول وصعد الشيخ إلى الطابق الثاني وقابل الملك، وعقب هذه المقابلة صدر مرسوم ملكي بتعيين الشيخ المرصفي عضواً في جماعة كبار العلماء، وكان معنى هذا أن يبلغ راتب الشيخ المرصفي ٣٥ جنيهاً بدلاً من ثلاثة.

ويرجع سبب الخلاف أو الجفوة بين الشيخ والعميد، إلى أن الشيخ قد اشترك مع لجنة من كبار العلماء في محاكمة الأستاذ علي عبد الرازق بعد أن ألف كتابه الذي هاجم فيه نظام الخلافة وقال: إن الإسلام دين لا دولة وقد حكمت لجنة كبار العلماء على الأستاذ عبد الرازق بسحب درجة العالمية منه، والأستاذ علي صديق للعميد والشيخ يعرف ذلك، والعميد هو السبب في دخوله هيئة كبار العلماء، ولهذا غضب العميد من أستاذه وحدثت الجفوة التي استمرت حتى مات الأستاذ عليه رحمة الله، ومع هذا كان العميد يذكر أستاذه دائماً بالثناء والتقدير والعرفان بالجميل.

## عباس العقاد<sup>(١)</sup>

قال عميد الأدب العربي : قد يظن بعض الناس أنه كانت بيني وبين العقاد قطيعة، وهذا غير صحيح، فلا أعرف أن خلافاً كان بيني وبين العقاد، وإنما كان العقاد لي صديقاً حميماً وأنا كريماً.

وهذه الكلمة قالها العميد بعد الندوة التي عقدت في رامتان وحضرها عدد من الأدباء منهم أنيس منصور، وثروت أباطه، ونجيب محفوظ، ويوسف السباعي وغيرهم، وقد قال فيها العميد إنه لم يفهم عبقرية عمر للعقاد، وكان هذا الرأي مثار تعليق وتساؤل، وبخاصة من طلاب الثانوية العامة الذين يدرسون هذا الكتاب.

ومما قيل إن الدكتور طه حسين لم يهاجم العقاد في حياته خوفاً منه، فلما

---

(١) كان عباس العقاد كاتباً كبيراً، وشاعراً رصيناً وناقداً بصيراً، ومؤرخاً دقيقاً، وباحثاً اجتماعياً عميقاً، فهو متنوع الثقافة، متعدد المواهب ولد بأسوان سنة ١٨٨٩ م وتلقى تعليمه الابتدائي بمدرستها الأميرية وقد عمل فترة بالحكومة، ثم استقال، وعمل بالصحافة، واشتغل بالسياسة وقد انتخب مرتين عضواً بمجلس النواب، وعين كذلك بمجلس الشيوخ مرتين. وللعقاد إنتاج غزير، تُرجم كثير منه إلى أكثر من لغة شرقية وغربية فضلاً عن مئات المقالات التي نشرت في مختلف الصحف والمجلات. اختير عضواً بعدة مجامع وهيئات علمية، توفي سنة ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م

مات العقاد انتقده وحمل عليه، وهذا يعنى أن العلاقة بينهما كانت غير طيبة، وقد نفى العميد فى تلك الكلمة هذا مؤكداً أنه لم يكن بينهما خلاف، وأنها كانا صديقين حميمين.

وقد قال عميد الأدب العربى : يبدو أنى أخطأت حين قلت إنى لم أنهم كتاب عبقرية عمر، وليس هذا عيباً للعقاد، وإنما هو عيب لى أنا، فقد عجزت عن فهم كتاب هو أقرب إلى الفلسفة منه إلى التاريخ، وعلى كل حال فتقرير هذا الكتاب غير سديد، وليس فى مستوى التلاميذ وحتى بعض المدرسين.

ويعد قراءة الفصل الذى كتبه الدكتورة نعمات فؤاد عن العقاد فى كتابها «قلم أدبية» قال العميد :

لقد قرأت مقالة عن الحب للعقاد نشرها فى مجلة الكتاب التى كانت تصدرها دار المعارف، وفور الانتهاء من قراءة المقالة أدركت أن ما فيها من أفكار ليس عربياً، وطلبت من سكرتيرى إحضار دائرة المعارف البريطانية، وقرأت ما كتب عن الحب فيها، فإذا هو النص الذى ترجمه الأستاذ العقاد فى مقاله، واستطرد العميد قائلاً : لقد كان العقاد حساساً مفرطاً فى الحماسية، وكانت عقدة الشهادة تسبب له المتاعب من حيث لا يدرى، مرة والمجمع يستعد لمؤتمره السنوى اقترح الدكتور منصور فهمى أن أعد محاضرة عن أبى العلاء للمؤتمر، وقد قال فى مجلس المجمع وهو يقدم اقتراحه : إن الدكتور طه يعد أعرف الناس بأبى العلاء، وما كاد الأستاذ العقاد يسمع هذا حتى اندفع قائلاً بأنه يعرف عن أبى العلاء ما لا يعرفه طه حسين وغيره، وهو أقدر الناس على الحديث فى هذا

الموضوع. ويقول الدكتور طه : وحاولت تهدئة الأستاذ العقاد، وأبدت له رغبتى فى عدم الحديث فى هذا الموضوع.

وبما يتصل بعقدة الشهادة لدى الأستاذ العقاد قال العميد : فى جلسة من جلسات مجلس الفنون والآداب، وكان معنا السيد - كمال الدين حسين، وكان وقتها وزيراً للتربية والتعليم قال الأستاذ العقاد موجهاً الحديث للسيد كمال الدين حسين : أنا ألفت أكثر من سبعين كتاباً، والمدعش أن الجامعة لا تتحرك، ولا تعير إنتاجى اهتماماً مع أنها قدرت غيرى ممن يقل إنتاجهم عن إنتاجى.. مثل أحمد أمين وعبد العزيز فهمى.

وكان الأستاذ العقاد يقصد بهذا أن تمنحه الجامعة درجة الدكتوراه الفخرية، كما منحت سواه من الكتاب والمفكرين..  
وسألت العميد : هل ترون أن الأستاذ العقاد على حق فى هذا؟ وكان جوابه : لا أدرى.

وجاء فى كتاب الدكتورة نعمات السالف الإشارة إليه إلى عدم زواج العقاد، وعقب عليها الدكتور بقوله : لقد كان للعقاد علاقة غير شرعية بامرأة كانت تسكن فى العباسية، وقد أثمرت هذه العلاقة فتاة، وهى التى انتحرت بعد وفاة العقاد، لأنها ذهبت إلى البيت يوم وفاته فظن أهله وإخوته إنها جاءت لتطالب بحقها فى الميراث، فطردوها من البيت فانتحرت.

وكنت أقرأ موضوعاً عن إبليس ورد فى كتاب نهج البلاغة، فقال العميد : إن إبليس لم يكن من الملائكة، وإنما كان بنص الآية من الجن،

وأذكر أن أستاذًا إيطاليًا كتب كتابًا عن إبليس ذهب فيه إلى أنه كان أحرص من الله على وحدانية الله لأنه امتنع عن السجود لآدم، ومعنى هذا أن الله وحده هو الذي يجب أن يفرد بالسجود، ولكن هذا الأستاذ الإيطالي نسي أن الله لم يأمر إبليس بالسجود لآدم لأنه يستحق السجود لذاته فالله هو الذي خلق آدم والأمر بالسجود له يعني تمجيد صنع الله.

قلت للعميد : إن للمرحوم العقاد كتابًا عن إبليس فقال : لم أقرأ هذا الكتاب، ولكنني قرأت كتاب الله . . وهو كاتب جاف .

وقد سئل يومًا العميد عن مكانة العقاد وأثره في الأدب، فقال : إن أثر العقاد في الأدب الحديث ضخم جدًا لا يحارى في ذلك أحد، وقد بايعت العقاد منذ نحو أربعين عامًا بإمارة الشعر بعد وفاة شوقي وحافظ وقلت : صنعوا لواء الشعر في يد العقاد، وقولوا للأدباء والشعراء أسرعوا، استظلوا بهذا اللواء فقد رفعه لكم صاحبه .

وقلت للعميد مرة عندما جاء ذكر الأستاذ العقاد : ألم يكن من الأجدى للفكر لو أن الأستاذ العقاد لم يشغل نفسه بالسياسة والحزبية واهتم بالدراسات الأدبية والفكرية، فقال : لم يكن في استطاعته أن يفعل ذلك وإلا مات جوعًا، فلم يكن الأدب وحده يكفي أن يدر عليه رزقًا يكفيه، ولذلك اضطر إلى خوض ميدان السياسة والحزبية .

وكانت الإذاعة المرئية السعودية قد سجلت حديثًا للعميد في سنة ١٩٧١، ودار هذا الحديث حول إسلاميات العميد وعلاقته بالعقاد وغيره من الأدباء والكتاب، وقد أكد العميد علاقته الأخوية بالعقاد وأشار إلى أن ما قاله بالنسبة للعقوبات لا يعني الخصومة والشقاق، وإنما يعني وجهة

نظر قد تكون صحيحة أو غير صحيحة، ثم قال العميد للمذيع : اقرأ إن شئت رثائي للعقاد فهو برهان يدحض كل زعم بأنه كانت بيني وبين العقاد خصومة .

وعا قاله العميد في هذا الرثاء :

« وكذلك فارقنا أيها الأخ الكريم ، والصديق الحميم ، والزميل العزيز . . فارقنا فجأة على غير أذان لنا بهذا الفراق وعلى غير انتظار من عوادك وأطبائك ومن أهلك الذين يحوطونك بعنايتهم ورعايتهم ، والذين كنا نسألهم عنك فلا نسمع منهم إلا خيراً أى خيراً .

كانوا ينبئوننا بأن صحتك تتقدم في اطراد، وأنتك توشك أن تسترد العافية كاملة والنشاط موفوراً . ولقد سألتهم حين تقدم الليل فأنبأوني بأنك على خير حال ، وبأنك تستريح من مرضك بعد أن انجلى هذا المرض . . ولقد سعدت بذلك السعادة كلها واستبشرت به كل الاستبشار، وعرفت أن الملتقى في «مجمع اللغة العربية» قريب، وأن زملاءك جميعاً سينعمون بهذا اللقاء وسيسعدون بمشاركتك لهم فيما ينهضون به من الأعباء .

ولكني أصبح فإذا النبا يفجؤني فيقع على موقع الصاعقة، وأقسم لقد ذهلت له ذهولاً أفقدني الشعور بمن حولي، أو كاد يفقدني هذا الشعور . . وقد احتجت إلى وقت غير قصير وعناية متصلة لاثوب إلى نفسي، أو لثوب نفسي إلى . . . ولقد لبثت ساعات لا أصدق هذا النبا ولا أطمئن إليه حتى بعد أن رأيت في كل صحف الصباح .

وأنا مع ذلك أعلم أن الموت حق وأن كل نفس ذائقة الموت كما يقول الله عز وجل .

ولكني لم أكن أنتظر أن تسرع إليه أو أن يسرع إليك على هذا النحو، وقد كنت أقوى الناس قوة وأعظمهم نشاطاً وأخصبهم حياة وأبعدهم عن مظاهر الضعف والفتور، ولكن الشاعر قد صدق كل الصدق حين قال :  
والموت نقاد على كفه جواهر يختار منها الجياد

أجل أيها الأخ الكريم، لقد عرف الموت كيف يختار حين صوب سهمه إليك، وسهام الموت لا تخطئ الغرض .

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفت كل تميمة لا تفسح إليه أيها الأخ الكريم، إن موتك لم يفجع أسرتك وحدها، ولا وطنك وحده، وإنما فجع العالم العربي كله، فقد كنت علماً من أعلام العروبة الشاهقة، ونجماً من نجومها المشرقة ملأت الدنيا أدباً وحكمة وفلسفة وعلماً .

تألق نورك بين مواطنيك منذ شبابك الأول، وما لبث أن تجاوز وطنك وأشرق على العالم العربي كله، ثم لم يلبث أن تجاوزه إلى المعنيين بشؤون الأدب العربي في جميع أقطار الأرض حتى كان الشاعر العربي القديم إنما رثاك بقوله :

وما كان قيس هللكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدمما  
ورشير العميد بعد هذا إلى طرف من جهاد العقاد ونضاله السياسي،  
ثم يختم رثاءه بقوله :

في ذمة الله أيها الأخ الكريم، لقد فارقتنا على غير وداع واختطفك الموت من بيننا فجأة كأنه اختلسك منا اختلاسًا ولكن أمثالك تموت أجسامهم؛ لأن الموت حق على الأحياء جميعًا، ولكن ذكرهم لا يموت؛ لأنهم فرضوا أنفسهم على الزمان وعلى الناس فرضًا، ومحتوى شخصك الكريم في أطباق الثرى، ولكن القبر الذي سيحتوى شخصك لن يستأثر بك، فلك في قلوب الذين يحبونك والذين ينفعون بأدبك وعلمك ذكر لن يموت إلا بموتهم، ولكنهم لن يستأثروا بذكرك وإنما ستشاركهم فيه الأجيال التي تبقى ما بقى الدهر.

وإننا إلى الله راجعون لقد أصبح حزني عليك ألوانًا  
حزن اشتياق وحزن مرزأة إذا انقضى عاد كالذي كانا  
ولا ريب في أن هذا رثاء صادق لا يصدر إلا عن قلب ملتحق يكن  
الحب الخالص لأخ كريم، وصديق حميم على حد قول العميد في مستهل  
رثائه لأخيه العقاد.

## عبد الرزاق السنهوري<sup>(١)</sup>

قال عميد الأدب العربي :

بعد عودة الدكتور السنهوري من فرنسا وتعيينه بالجامعة، جاءني يشكو لأنه لم يرق إلى درجة أستاذ على حين رُقِّي غيره، وقد سمعت لترقية الدكتور السنهوري إلى درجة أستاذ، وبعد مدة جاءني وطلب مني أن أسعى لدى مكرم عبيد لتعيينه قاضياً بمحكمة المنصورة المختلطة؛ لأن في هذا راتباً يفوق راتب الجامعة، وكلمت مكرم وصدر قرار بتعيين الدكتور السنهوري قاضياً بالمنصورة، وبعد مدة جاءني وطلب مني أن يعمل في قضايا الحكومة، ولم أضق بكثرة طلباته ورغباته وكلمت الدكتور عبد الحميد بدوي فنقله إليها.

---

(١) السنهوري علم من أعلام الفقه والقانون، ولد بالاسكندرية سنة : ١٣١٢ هـ - ١٨٩٥ م وتلقى بها تعليمه الابتدائي والثانوي، تخرج في مدرسة الحقوق سنة ١٩١٧ م ثم عمل بالنيابة ومدرسة القضاء، وأوفد في بعثة إلى فرنسا فحصل على الدكتوراه في القانون سنة ١٩٢٦، وعمل بعد ذلك بالجامعة، وكذلك المحاكم المختلطة، وتولى وزارة المعارف أكثر من مرة، كما كان رئيساً لمجلس الدولة، له مؤلفات كثيرة في الفقه والقانون تعد مراجع مهمة وثروة قانونية يعز بها الفكر القانوني المعاصر. توفي سنة ١٣٩١ هـ -

١٩٧١ م

فقلت للعميد : لقد أحسنت إلى الدكتور السنهوري وحققته له كل ما طلبه منكم، فصمت برهة ثم قال في نبرة يثورها الألم :  
إن النقراشي كان مع النحاس ثم انشقَّ عليه وانضم إلى النقراشي السنهوري، وخاض السنهوري في السياسة، وحين عين وكيلاً لوزارة المعارف مع النقراشي أخذ السنهوري يكيد لي ويتأمر عليّ وأنا لا أدرى .  
فقلت للعميد :

إن في تصرف الدكتور السنهوري نكراناً للجميل، فقال : هذا صحيح ونكران الجميل شيء فظيع، ولكن يبدو أنه مرض متفش في الدنيا، فقلت للعميد : في قرينتنا مثل ريفي يقول : اعمل الخير وارمه في البحر، فقال : إن نكران الجميل لا يؤثر في نفسى لدرجة أن يحول بيني وبين عمل الخير ما استطعت، وهذا المثل يذكرني بمثل أسبانى يقول : قال الرجل لصاحبه : إن فلاناً يذكرك بسوء، فرد عليه صاحبه : عجباً كيف يفعل وأنا لم أقدم إليه معروفاً قط، وهذا المثل يشير إلى أن فعل الخير يجلب على فاعله السوء .

وتذكرت في الحال الحكمة العربية الماثورة :  
اتق شرَّ من أحسنتَ إليه .

## عبد العزيز جاويش<sup>(١)</sup>

يعد الشيخ عبد العزيز جاويش من أساتذة العميد الذين فتحوا له ميادين الكتابة في الصحف والمجلات ومخاطبة الجماهير وإنشاد الشعر بين أيديهم، وفي ذلك يقول العميد: وهو الذي عرف الفتى إلى جماهير الناس ووقفه بين أيديهم ذات صباح منشداً للشعر، كما كان يفعل الشعراء المعروفون وحافظ منهم خاصة في بعض المناسبات.

لقد كان الشيخ جاويش يشجع الفتى الأزهرى على الكتابة ومهاجمة خصوم الحزب الوطنى مهما تكن سخافة المقالات التى يكتبها الفتى، كتلك المقالة التى كان مطلعها «عم صباحاً أو مساء واشرب هواء أو ماء واستاجر من تشاء لما تشاء، فقد وضع الحق ويرح الخفاء».

---

(١) عبد العزيز جاويش، خطيب وكاتب من الكتاب، ويعد من رجال الحركة الوطنية بمصر، تونسى الأصل، ولد بالاسكندرية سنة: ١٢٩٣ هـ - ١٨٧٦ م، وتعلم في الأزهر ودار العلوم وقد اختير استاذاً للأدب العربى فى جامعة كميردج، وعاد إلى مصر فاشتغل مدرساً، فمفتشاً للغة العربية، واتصل بمصطفى كامل، ورأس تحرير «الواء» وهاجم المحتلين، فحوكم بسبب ذلك مرات. أصدر بعض المجلات مثل الهداية، والعالم الإسلامى، كما شارك فى إنشاء جمعية الشبان المسلمين. توفى بالقاهرة سنة: ١٣٤٧ هـ - ١٩٢٩ م

يقول العميد في الجزء الثالث من الأيام : ولم ينسَ الفتى مقالاً دفعه ذات مساء إلى الشيخ عبد العزيز جاويش، فلم يكذب يقرأ أوله حتى طرب له وأبى إلا أن يقرأه بصوته العذب على من يحضر مجلسه ذلك وابتهج الفتى حتى سمع الثناء وأحس الإعجاب واستيقن أنه أصبح كاتباً ممتازاً، ثم لم يذكر بعد ذلك أول هذا المقال حتى طأطأ من رأسه ومن نفسه وسأل الله أن يتيح له التكفير عن ذنبه ذلك العظيم .

ثم يقول العميد : كان بعض تبعة هذا السخف يقع على الشيخ عبد العزيز جاويش، ولكن للشيخ عبد العزيز جاويش فضلاً على الفتى أي فضل فهو الذي ألقى في روع الفتى فكرة السفر إلى أوروبا حين قال له ذات يوم : لا بد من أن نضع شيئاً لإرسالك إلى فرنسا عامين أو ثلاثة أعوام .

ويضيف العميد في بيان فضل الشيخ جاويش عليه رحمه الله فيقول : ثم لم يقف الشيخ عبد العزيز جاويش بالفتى عند هذا الحد، ولكنه علمه الكتابة في المجلات، فقد أنشأ مجلة الهداية وطلب إلى الفتى أن يشارك في تحريرها، ثم ترك له أو كاد يترك له الإشراف على هذا التحرير، وكان له الفضل كل الفضل فيما تعلم الفتى من إعداد الصحف وتسيق ما ينشر فيها من فصول، ولم تخل الهداية من جدل عنيف دفع الفتى إليه دفْعاً .

ويبدو أن صلة العميد بالشيخ جاويش بدأت منذ عرف الفتى طريقه إلى النشر في الصحف والمجلات، بدليل القصيدة التي نظمها العميد في تهنئة الشيخ جاويش بمناسبة خروجه من السجن سنة ١٩٠٩؛ بسبب المقدمة التي كتبها لديوان وطنيتي للمرحوم الشاعر الكاتب على الغاياتي .

قال العميد :

الآن حق لك الشناء  
ولتسحى مصر وأهلها  
تعلو بها أصواتنا  
إن كان ذكرك للجلاء  
سيروا إذ تبدو الحقيق  
ما إن أصابتك الإساء  
لو يعلم السجن الذى  
من ذا يقيم به لكان  
لم لا وأنت لسان مصر  
تدعو لها ويذود عنها  
فاسلم لمصر وأهلها  
فلتحى وليحى اللواء  
شاء العدا أو لم يشاء  
حقى تردها السماء  
يسوء فليكن الجلاء  
ة أن قوتهم هواء  
ة بل لأنفسهم أساءوا  
قد كان فيه لك الشواء  
له بمشواك ازدهاء  
إذا السخ بها المرء  
صدق عزمك والمضاء  
إننا لنجدتك الفداء

وقد نشر في يوم الخميس الموافق ١٩٦٩/٤/٢٤ في يوميات جريدة الأخبار مقال تحت عنوان التراث الحى للأستاذ محسن محمد، وقد ذكر الكاتب في مستهل مقاله : أنه سأل الدكتور طه حسين لماذا نقلت المنفلوطى ، فقال له : لأن المنفلوطى كان أدبياً مشهوراً فأردت من وراء نقله الشهرة، وقد عقب الدكتور على هذا بقوله : هذا الكاتب كذاب فأنا لم أقل له شيئاً من هذا فضلاً عن أن نقدى للمنفلوطى لم يكن القصد منه الشهرة بالنسبة لى، والحقيقة أن الشيخ عبد العزيز جاويش كان يكره المنفلوطى، وهو الذى حرصنى على الكتابة ضده، فقلت للعميد : هل يعنى هذا أن نقدكم للمنفلوطى كان نقدًا سياسياً أكثر منه أدبياً؟ فقال :

هو ذاك ولكنى أستحي مما كتبه ضد المنفلوطى ، لأن ما كتبه لم يكن نقدا بالمعنى الصحيح ، وإنما كان بحثاً فى صحة المفردات التى يستعملها المنفلوطى من الناحية اللغوية ، وكنت أنشر هذا تحت عنوان «نظرات فى النظرات» .

وأخبرنى الأستاذ عماد شوقى أمين عضو المجمع اللغوى أن العميد لم يكن يكتب هذا النقد ، وأن الأستاذ صادق عنبر هو الذى كان يعده ثم ينشر باسم العميد .

وتحدثت مع العميد حول نقده للمنفلوطى ، وهل كان هناك من يعاونه فيه ، فكرر ما أسلفت الإشارة إليه وهو استحيائه من هذا النقد دون أن يفصح عن شيء آخر ، كما أكد استحيائه من مقال كتبه ضد السيد رشيد رضا ، فقد استعمل فيه ألفاظاً قاسية وسخرية لاذعة ، وهذا المقال كتبه كذلك بتشجيع من الشيخ جاويش وقد نشر فى مجلة الهداية .

لقد دفع الشيخ جاويش بالفتى إلى معارك الفكر والسياسة وحرصه على ذلك لغاية فى نفسه ، وكان الفتى يستشعر بلا جدال فى خوض هذا الصراع لذة الطموح وتأكيد الذات ، وقد أوماً إلى هذا بقوله : لم يكد الفتى يأخذ بالكتابة حتى عرف بطول اللسان والإقدام على ألوان من النقد فلما كان الشباب يقدمون عليها فى تلك الأيام ، ومع هذا تعلم الفتى من الشيخ جاويش الكثير وكان له فضل عليه كبير .

## على عبد الرازق<sup>(١)</sup>

قال عميد الأدب العربي :

عرفت الأستاذ على عبد الرازق منذ أيام الطلب في الأزهر، ولم تقتصر علاقتي به وحده فقد شملت الأسرة كلها، وكانت لنا جلسات ممتعة في بيت آل عبد الرازق في عابدين، وأذكر أني رثيت والدة على عبد الرازق وكذلك والده وكان هذا الرثاء شعراً ونشر ذلك في الجريدة.

واستطرد العميد قائلاً :

إن صلتى بعلى عبد الرازق كانت وثيقة جداً، وأذكر أن علياً وهو

---

(١) ولد الأستاذ على عبد الرازق سنة : ١٣٠٥ هـ - ١٨٨٨ م، درس في الأزهر، وكان إلى جانب دراسته الأزهرية يدرس في الجامعة المصرية القديمة، وقد حصل من الأزهر سنة ١٩١٢ على شهادة العالمية، ثم سافر إلى إنجلترا لدراسة الاقتصاد والسياسة ولكنه عاد إلى مصر بعد قيام الحرب العالمية الأولى.

ولى القضاء بالمحاكم الشرعية، وانتخب عضواً بمجلس النواب والشيخ، كما عين وزيراً للأوقاف، واختير عضواً بالمجمع اللغوي له مؤلفات في الأدب وأصول الفقه. وبحث في الخلافة والحكومة في الإسلام، وهو الذي أثار ضجة، وحكم عليه بسببه بتجريده من شهادة العالمية. توفي سنة : ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٧ م

طالب في الأزهر قد استأجر حجرة قرب الأزهر ليستريح فيها بين الدروس؛ نظراً لبعده منزل الأسرة عن الأزهر، وكان يصر على أن أذهب معه إلى هذه الحجرة طوال فترة بقائه فيها، وكنا نقضى الوقت في مذاكرة بعض العلوم وقراءة كتب الأدب.

وكان في عدد آخر الساعة الصادر بتاريخ ١٧/١١/١٩٧٠ دراسة عن كتاب «الاسلام وأصول الحكم» للأستاذ على عبد الرازق، وبعد أن قرأت عليه هذه الدراسة وكان فيها إشارة إلى مقال كتبه الدكتور في السياسة بعد صدور الحكم ضد الشيخ على عبد الرازق، فقال: لقد كتبت مقالين في السياسة عن هذا الموضوع، وهاجت شيوخ الأزهر لتجريدهم الشيخ على عبد الرازق من درجة العالمية وإبعاده من القضاء الشرعي، وخاصمت بعض هؤلاء مع اعتراف بفضلهم على مثل الشيخ سيد المرصفي؛ بسبب اشتراكه في محاكمة الشيخ على.

وقال العميد:

إن الملك فؤاد كان يروج لفكرة الخلافة الإسلامية بعد إلغاء هذه الخلافة في تركيا، وكان يطمع في أن يصبح خليفة للمسلمين فجاء هذا الكتاب ليحارب هذه الفكرة لأنه ينتهي إلى أن الإسلام دين لا دولة، وأن الرسول ﷺ ما كان إلا رسولاً لدعوة دينية خالصة للدين لا تشويها نزعاً ملك ولا حكومة، وأنه ﷺ لم يقم بتأسيس مملكة بالمعنى الذي يفهم سياسة من هذه الكلمة ومرادفاتها.

وقلت للعميد:

هل تقر ما قاله الشيخ على عبدالرازق في هذا الموضوع الخطير<sup>(١)</sup>، فقال: هذا رأيه وما كان يجب محاكمته بسببه، والواقع أن الملك كان من وراء محاكمة الشيخ على كما كان من وراء ما أثير حول كتاب الشعر الجاهلي، وأذكر أن المرحوم عبد العزيز فهمي كان وزيراً للمعدل حين صدر الحكم ضد الشيخ على فاستقال احتجاجاً على هذا التصرف، على أن قرأت أصول كتاب الشيخ على قبل طبعه ثلاث مرات، وعدلت فيه كثيراً.

ولما عرض الأزهر على العميد أن يمنحه درجة العالمية بعد أن بلغ العميد ما بلغ وأصبح حديث الناس رفض هذا العرض وقال: لا أحب أن يفعلوا معي مثل ما فعلوا مع الشيخ على عبد الرزاق منحوه درجة العالمية، ثم أخذوها منه، ثم عادوا فمنحوه الدرجة مرة أخرى.

وفي يوم الجمعة الموافق ١٩٦٧/٩/٢٣ توفي الأستاذ على عبد الرزاق، وفي يوم السبت ٢٤ كان أول لقاء بيني وبين العميد بعد عودته من رحلته الصيفية. وقد وجدته جالساً في شرفة حجرة نومه تبدو عليه دلائل الصحة، وبعد تحيته وتهنئته بسلامة العودة بدأنا القراءة في الصحف، وكان نعي الأستاذ على عبد الرزاق منشوراً في صحف السبت، وفي صحف هذا اليوم أيضاً نشر نعي الدكتور يوسف مراد، وكنت أدرك أن نبأ وفاة الأستاذ سيؤلمه جداً، وكنت في حرج شديد أقرأ له النبأ أم لا، على أن زوجة الدكتور كانت تلومني في بعض الأحيان إذا قرأت للعميد

---

(١) انظر مناقشة فكرة هذا الكتاب «كتاب الفكر الإسلامي الحديث، وصلته بالاستعمار الغربي» للدكتور محمد البهي.

أنباء وفاة بعض أقرانه وأصدقائه، ومع هذا لم أجد بداً من قراءة النبا حتى لا يعرفه من زائر أو عن طريق مكالمة هاتفية فيلومنى العميد، وأضع نفسى موضع التهمة فى عدم قراءة الصحف قراءة كاملة.

وقد حدث ما توقعته، فقد بدا الألم على وجه العميد بعد سماعه النبا، وطلب منى بعد فترة أن أعاونه لينام فى فراشه لأنه يشعر بتعب مفاجئ، وآلام فى الأمعاء شديدة، وقبل انصرافى طلب منى أن أبعث ببرقية عزاء إلى أسرة الفقيد العزيز.

## فؤاد<sup>(١)</sup>

قال عميد الأدب العربي :

كانت الجامعة الأهلية تحت إشراف الأمير فؤاد، ولما كان طه حسين أول طالب يحصل على درجة الدكتوراه من هذه الجامعة وتوفده على نفقتها في بعثة دراسية إلى فرنسا، لقي من المشرف على الجامعة اهتماماً خاصاً، ويروى الدكتور طه أنه بعد عودته من البعثة قابل فؤاداً، فقال هذا له :  
اعتبرني أحاك، وبإي مفتوح لك في كل وقت، وبعد أن انتهى هذا اللقاء وجد العميد أمين القصر ينتظره في الطابق الأول ليعطيه مظروفاً به مائة جنيه .

وألف العميد كتابه « من الأدب التمثيل » وحمله ليقدمه هدية إلى فؤاد، وعند انصراف العميد وجد أمين القصر في انتظاره ليعطيه مظروفاً به مائة جنيه أيضاً .

---

(١) أحمد فؤاد ابن الخديو إسماعيل بن إبراهيم بن محمد علي، ولد بالقاهرة سنة ١٢٨٤ هـ - ١٨٦٩، وتعلم في جنيف، والمدرسة الحربية بإيطاليا وعاد إلى مصر سنة ١٨٩٢ م، وتولى سلطنة مصر سنة ١٩١٧ بعد وفاة السلطان حسين، ثم أصبح ملكاً لمصر بعد رفع الحماية الإنجليزية عنها. توفي سنة : ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م.

وكان راتب المدرس في الجامعة الأهلية ٣٣ جنيهاً، ولكن العميد طلب من الجامعة أن تزيد في راتبه مبلغاً يدفعه لسكرتير يقرأ له ويعاونه في أعماله، ورفضت الجامعة هذا، فلجأ العميد إلى فؤاد فأمر بأن يكون راتب الدكتور طه أربعين جنيهاً.

وقال عميد الأدب العربي : إن حشمت باشا اتصل بي وقال : إن الملك فؤادا يريد أن تتولى رئاسة تحرير جريدة الاتحاد، فقلت : إنني أريد أن أسمع هذا من الملك نفسه، وفي اليوم التالي قابلت الملك، وتوليت بعد هذا رئاسة تحرير تلك الجريدة، ويضيف العميد قائلاً : إن الملك فؤادا كان يقدرني جداً ويحبنى، ولكنه غضب على حين ناديت بالدمستور وتحذثت عن الحياة الديمقراطية، لقد ضاق بي الملك فؤاد لمناداتي بالحرية والديمقراطية، ومع هذا كان يقدرني، فقد قال لسيلاكوه مدير المتحف المصري : إنني أحترم طه حسين ولكنني لا أحبه.

ولما أصبحت الجامعة الأهلية جامعة حكومية ناقش مجلس الجامعة موضوع هيئة التدريس، وكان من رأى أعضاء المجلس أن أظل في درجة مدرس، ولكن فؤادا لم يوافق على هذا - على الرغم من أن الخلاف بيني وبينه قد بدأ - . وما قاله إن طه حسين يجب أن يكون أستاذاً .

وحين ثار الأزهر على العميد بسبب كتابه عن الشعر الجاهلي، سأل عبد الخالق ثروت الشيخ أبا الفضل الجيزاوي، وكان شيخ الأزهر، ما حكاية هذه الحملة التي يقوم بها الأزهر ضد طه حسين، فقال الشيخ : الأزهر غير مسئول عن هذه الحملة، فسأله ثروت : ومن المسئول إذن ؟ فقال : الملك فؤاد.

ثم قال الدكتور : إن الملك فؤادًا حلف برأس أبيه أن يخرج طه حسين من الجامعة، ولكنه عجز عن ذلك .

وحينما كان الدكتور طه عميدًا لكلية الآداب جاء الملك فؤاد لزيارة الجامعة، ويقول العميد عن هذه الزيارة : وكنت ضمن الذين استقبلوا الملك، وقابلني مقابلة طبيعية، وكان معه في هذه الزيارة صدقي، وعدلي، ووزير المعارف عيسى حلمي، وكانت عادة الملك أن يدخل المدرجات ويستمع إلى بعض المحاضرات وكنت قد نبهت على الأساتذة ألا يغيروا شيئًا من برنامج محاضراتهم، وحدث أن دخل الملك محاضرة لأستاذ في التاريخ، وكان موضوعها تطور الدستور الإنجليزي، ففهم الملك أن في هذا تعريضًا به؛ لأنه كان قد عطل الدستور، وطبعًا فهم أنني الذي حرّضت الأستاذ على ذلك، وقوى هذا لدى الملك أن الطلبة قد هتفوا بحياة عدلي يكن دون أن يهتفوا بحياة الملك أو صدقي، ولما سأل فؤاد عن سبب ذلك : قال له وزير المعارف : هذا من تدبير الدكتور طه حسين .

حدث هذا في يوم السبت، وفي يوم الخميس صدر قرار وزارى بنقل من الجامعة إلى وزارة المعارف، فرفضت تنفيذ القرار؛ لأنه ليس من حق وزير المعارف أن ينقل أستاذًا جامعيًا، فالجامعة مستقلة ولا سلطان لأحد عليها، ولما رفضت تنفيذ القرار طلبني رئيس الوزراء وقال لي : لماذا لا تنفذ قرار الوزير؟ فقلت له : هذا الوزير حمار ولا أحب أن أتعامل معه كما أنه ليس من حقه أن يصدر مثل هذا القرار، فقال رئيس الوزراء : لا تتعامل مع هذا الوزير، وتعامل معي، فقلت له : ولا أتعامل معك،

فقال رئيس الوزراء : إذن فأنا حمار مثله ، فقلت : عفواً يا باشا لم أقصد ذلك . . . ويكمل العميد : وانتهت هذه المقابلة ، ثم فوجئت بعدها بصدور قرار بإحالتى على المعاش . . .

وسألت العميد بعد هذا : يبدو أن فؤاداً كان يريد أن تكون من حاشيته ومن أنصاره يكتبون عنه ويشيدون به ، وجاء رد العميد : لم أفعل ذلك معه ولا مع غيره من الحكام . . .

## فاروق<sup>(١)</sup>

لم يكن الملك فاروق كأبيه يعرف قدر العميد وإن لم يكن يطمئن إليه أو يتقبل آراءه، ولكنه فيما يبدو كان ينظر إلى الدكتور طه نظرة كريمة، وبراءة متاونًا للعرش، غير متعاطف معه وأن العميد لم يكن يرى في فاروق حاكمًا جديدًا بالثقة والقيام بأمانة الحكم، وقد حدثني العميد عن علاقته بفاروق فقال :

لقد نشرت في مجلة «الهلل» مقالاً تحت عنوان «القلب المقفل أو المغلق» لا أدري، وبعد نشره جاءني الأستاذان فكري أباطة وأميل زيدان وقالوا لي : إن الملك يظن أن المقال يعرض به، فقلت لهما : ليس في المقال تعريض بالملك ولا أعنيه بما كتبت، ثم صمت الدكتور برهة وقال : وأقسم بالله أن الملك كان في ذهني وأنا أكتب المقال.

وفي مساء الاثنين الموافق ٢٧/١٢/٧١ حضرت إلى رامتان كبرى بنات المرحوم الدكتور عبد اللطيف حمزة الأستاذ بكلية الآداب جامعة القاهرة، وتحدثت مع الدكتور حول حق والدها في جائزة الدولة التقديرية للآداب

---

(١) آخر من حكم مصر من أسرة محمد علي، ولد سنة ١٣٣٨ هـ - ١٩٢٠ م بالقاهرة وتعلم بها وفرنسا وإنجلترا، خلف أباه أحمد فؤاد ملكًا على مصر سنة ١٩٣٦ م وخلع سنة ١٩٥٢ عقب قيام الثورة، وأقام بروما إلى أن توفى سنة ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥ م

هذا العام، وطلبت من العميد أن يسعى لدى الدكتور حاتم نائب رئيس الوزراء للثقافة والإعلام في ذلك الحين من أجل ترشيح والدها، وقال لى الدكتور: ذكرنى غداً حتى أكلم الدكتور حاتم.

وبعد انصراف ابنة المرحوم الدكتور حمزة، قال العميد: بمناسبة الجوائز أذكر أنه في عهد فاروق رشحت لجائزة أدبية مقدارها ألف جنيه، ولكن الملك عارض في منحى هذه الجائزة ثم أمر بعد ذلك بمنحها لى، وقلت للمرحوم مصطفى النحاس: أنا سأرفض هذه الجائزة، غير أن النحاس رجاني الا أرفضها حتى لا أكون سبياً في أزمة بين الوفد والسراى، وقبلت الجائزة وقدمتها هدية لزوجتى..

ولما تولى الدكتور وزارة المعارف ووقف أمام الملك فاروق يقسم اليمين قال له الملك: أنا بامتحنك يا دكتور طه ولا أريد هذا الكلام الفارغ الذى تحدث به الناس وتكتبه في الجرائد، ويقول العميد: ولزمت الصمت ولم أرد على الملك، ولكن ردى عليه كان بعد ذلك اللقاء بيوم واحد، فقد أعلنت مجانية التعليم الابتدائى والثانوى.

ولما أردت إعلان مجانية التعليم الجامعى رفض الملك فاروق بشدة، وقال للنحاس: إن طه يريد أن يجعل البلد شيوعية..

ويقول الدكتور طه: وحاول الملك فاروق إلغاء مجلس الدولة - حينها كنت في الوزارة - وهذا من أجل التخلص من الدكتور السنهورى رئيس المجلس، فقلت للنحاس: أبلغ الملك أننا نرفض إلغاء مجلس الدولة، وإذا كان الملك مصرا على ما يريد فستقدم الوزارة استقالتها، وسكت الملك عن محاولة إلغاء مجلس الدولة أمام هذا الموقف المتشدد.

وقال العميد أيضاً : إن قصرًا بالإسكندرية وقع عليه الاختيار ليكون مقراً لكلية التجارة ولكن أحد المسؤولين المقربين من الملك - نسيت اسمه الآن - ذهب واستولى على هذا القصر بالقوة، ودعا الملك ومعه النحاس لافتتاح هذا القصر، فقلت للنحاس : اعتذر عن الذهاب، فاعتذر، ومن ثم لم يذهب الملك، وأخذت القصر لكلية ..

## محمد حسين هيكل<sup>(١)</sup>

قال عميد الأدب العربي :

عرفت المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل منذ أيام الشباب وتوثقت علاقتنا بعد إنشاء حزب الأحرار، وإشراف الدكتور هيكل على جريدة السياسة التي كنت أكتب فيها، وقد تعرضت للمساءلة بسبب بعض مقالاتي التي هاجمت فيها الوفدين، وأذكر أنه قد جرت بيني وبين الدكتور هيكل محاورات أدبية في مجلة السفور، والسياسة، وكانت الحرب من موضوعات حوارنا ونقاشنا، وكان من رأي أن الحرب كالدب الغزيرة

---

(١) الدكتور محمد حسين هيكل كاتب ومياسي، ولد بمحافظة الدقهلية سنة : ١٣٠٥ هـ - ١٨٨٨ م وتعلم بمدارس القاهرة، ونال إجازة الحقوق سنة ١٩٠٩ م، وحصل على درجة الدكتوراه من السوربون سنة ١٩١٢ م، وقد اشتغل بعد عودته من فرنسا بالمحاماة فترة، ثم تفرغ للصحافة والكتابة، وكان أحد أعضاء حزب الأحرار الدستوريين منذ إنشائه سنة ١٩٢٢ وتولى رئاسة تحرير صحيفة الحزب، ثم نائباً لرئيس الحزب بعد وفاة محمد محمود، فريئساً للحزب بعد ذلك.

تولى وزارة المعارف أكثر من مرة، وكان رئيساً لمجلس الشيوخ، ورئيساً لوفد مصر إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة سنة : ١٩٤٦. له عدة مؤلفات في التاريخ والأدب والسياسة، توفي سنة ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٦ م

ترسلها السماء من غير حساب فتفرق لها الجموع المحتشدة ويستيع ذلك كثير من المضار، ولكن السماء لا تكاد تقلع والماء لا يكاد يغيض حتى تكتسى الأرض حلة خضراء بهيجة فيها للحياة العقلية والجسمية مادة صالحة موفورة النفع، وذلك مثل الحرب تصيب الناس بما تشهد اليوم من ضرر وتروى الأرض بما تقشعر له أبداننا من دماء، ولكن ما تكاد الدماء تجف حتى ييب الإنسان من وقفته الحائرة وإذا قوة حياته المادية والعقلية قد ضرعت وأصبحت أقدر على الجهاد وأصلح للبقاء.

فليست الحرب كما يظن الكثيرون نذيرًا يؤذن بكساد المدنية وإفلاس الحضارة، وإنما هي آية تغير في الحياة الإنسانية ودليل انتقال من حال إلى حال أظهر منها نفعًا وأقرب إلى الكمال.

وهذا الرأي الذى ذهب إليه العميد في الحرب وأثارها نقضه الدكتور هيكل موضحة آثار الحرب في الخراب والتدمير والتشريد.

ويلاحظ أن هذه المساجلة كانت في أثناء الحرب العالمية الأولى، وأنها لون من الحيوية الفكرية للعميد والدكتور هيكل في سن الشباب، وقد أشار الدكتور في بعض مقالاته إلى أن الدكتور طه ابتدع هذه المساجلة معه ليخلق في الأدب العربي الحديث فن الجدل، وأنه أخذ جانب الحرب وفضلها على الحضارة رغبة منه في الجدل وحده، وأنه هو الذى دعا هيكل إلى ذلك<sup>(١)</sup>.

إن العلاقة بين العميد وهيكل كانت طيبة بالرغم من هذا الجدل

---

(١) مجلة الهلال عند فبراير سنة ١٩٦٦ صفحة ٨٨.

الفكرى، وقد روى لى العميد أنه أصلح بين هيكل ولطفى السيد بسبب ما قاله هيكل للطفى عندما طلب منه ومن العميد أن يبثا الرأى العام لقبول الحماية البريطانية..

ولم يحدثنى العميد عن علاقته بهيكل بعد أن توثقت صلة العميد بحزب الوفد وأصبح هيكل رئيسًا لحزب الأحرار.

وللعميد رأى فى مؤلفات الدكتور هيكل وهو رأى يتعارض مع ما قاله فى رثائه، فقد قال لى : الدكتور هيكل لم يكن يؤلف كتبه وإنما كان يكتبها له أناس آخرون ثم يسبها لنفسه، ومع هذا تشتمل على أخطاء علمية ضخمة.

وقال العميد يوماً بمناسبة الكتب التى ألفت عن محمد ﷺ : هناك غلطة منكورة وقع فيها الدكتور هيكل فى كتابه حياة محمد حين قال : لم يكن فى البحر الأحمر إلا أسطولان هما الأسطول الحبشى والأسطول المصرى، وهذا خطأ لأن الحبشة لم يكن لها أسطول، وأن النجاشى قد اعتمد على قيصر فأرسل إليه جيشه وأسطوله، والسبب فى هذه المعاونة أنها كانا على دين واحد..

وبعد وفاة الدكتور هيكل قال عنه العميد فى حفل التابىن :  
ذلل القصة لكتابها، وذلل السياسة الصحفية لكتابها، وشارك زملاءه ومعاصريه فى تذليل اللغة العربية وتمكينها من أن تكون ملكاً للذين يتكلمونها..

## محمد مندور<sup>(١)</sup>

تحدث العميد يوماً عن بعض الأدباء المعاصرين فقال :

إن الدكتور مندور ليس ذا بال في الثقافة وليس له دور فكري هام في حياتنا الثقافية في هذا القرن، فقلت : إن الدكتور مندور قد أسهم في حياتنا الفكرية المعاصرة إسهاماً طيباً، وله مؤلفات علمية جديرة بالخلود : فقال العميد : مثل ماذا؟ قلتُ : مثل كتاب النقد المنهجي عند العرب، فقال : هذا كتاب (هايف)، واعلم أن هذا الكتاب هو رسالة الدكتوراه التي تقدم بها الدكتور مندور إلى جامعة القاهرة، فقد أوفدته في بعثة إلى باريس ومكث فيها اثنتي عشرة سنة، ولم يتمكن طوال هذه المدة إلا من الحصول على درجة الليسانس في اليوناني بسبب عبثه وهواه وعدم إخلاصه للعمل، وبعد عودته، قدم ذلك الكتاب كرسالة حصل بها على درجة الدكتوراه.

وزار الأستاذ ثروت أباطة العميد في مساء الخميس الموافق ٢١/١١/٦٥ تناول الحديث بينها فيما تناول الدكتور مندور، فقال الأستاذ ثروت إن الدكتور مندور كان ينقد الكتب دون قراءتها، كان يلقي نظرة سريعة على

---

(١) حقوقى، تولى التدريس بجامعة القاهرة، ورأس تحرير بعض الصحف، وعمل في المحاماة، ولد سنة ١٣٢٥هـ - ١٩٠٧م وتوفى بالقاهرة سنة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م وله مؤلفات في مناهج البحث والنقد الأدبي، وبعض الكتب التي ترجمها عن الفرنسية واليونانية.

فهارسها أو عناوين موضوعاتها، ثم يكتب عنها، وكان مرةً هذا إلى أن الدكتور مندور كان شديد الحب للعمال، ويكتب من أجل الحصول عليه ولو كان ما يكتبه في غير تخصصه، وأورد مثلاً على ذلك بأنه كان يوماً والدكتور مندور في مكتب مدير البرنامج الثاني، وفجأة دخل عليهم موظف وقال للمدير: إن الأستاذ الذي كلف بكتابة بحث في موضوع (كذا) لم يكتبه حتى الآن، فطلب المدير من الموظف أن يتصل بهذا الأستاذ مرة أخرى، غير أن الدكتور مندور قال: لا داعي للاتصال به وأنا على استعداد لكتابة البحث المطلوب في الوقت المحدد.

وقال الأستاذ ثروت: ووجد مدير البرنامج الثاني نفسه في موقف حرج، فوافق على ما عرضه الدكتور مندور، ولكن هذا السلوك لا يليق بكاتب ناشئ فضلاً عن مفكر كبير.

وعقب العميد على ما قاله الأستاذ أباطة فقال: إن الدكتور مندور فعلاً كان يحرص على المادة، فحين كان أستاذاً مساعداً بجامعة الإسكندرية عرض عليه الأستاذ أحمد أبو الفتوح أن يدفع راتباً مقداره ١٢٥ جنيهاً لقاء عمله في صحيفة المصري، وجاءني الدكتور مندور - فقد كنت مديراً للجامعة - وقدم إلى استقالته، فحاولت أن أثنيه عن عزمه، وأذكره بمستقبله في الجامعة، بيد أنه أصر على رغبته في الاستقالة، فالراتب الذي سيحصل عليه من العمل في الصحافة ضعف راتبه في الجامعة، وبعد فترة اختلف مع الأستاذ أبو الفتوح ووصل الأمر بينهما إلى القضاء.

وصمت العميد برهة ثم قال: والذي أحده للدكتور مندور وفاءه وحسن تقديره لأساتذته وأدبه معهم في الجدل والنقاش.

## محمد المهدي<sup>(١)</sup>

الشيخ محمد المهدي أحد أساتذة العميد الذين درس لهم في الجامعة الأهلية، ولم تكن دروس هذا الشيخ تلقى من العميد الرضا والقبول، ومع هذا كان الشيخ المهدي يعامل تلميذه معاملة لطيفة.

كنت أقرأ للعميد في كتاب شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، وفجأة قال العميد: رحم الله الشيخ المهدي، فقلت: ومن الشيخ المهدي هذا؟ فقال: كان أستاذًا في القضاء الشرعي، وكان يدرس لنا الأدب في الجامعة، غير أنه لم يكن على مستوى أستاذ الجامعة، ولكنه كان معي لطيفًا، فكان عقب كل محاضرة يعطيني سيجارة، ثم يقول لي: انتظر حتى ألعها لك.

وأذكر أني قد اختلفت مع الشيخ المهدي بسبب مقال كتبه عنه وكان

---

(١) ولد الشيخ محمد المهدي سنة: ١٢٨٥ هـ - ١٨٦٨ م في إحدى قرى محافظة الشرقية من أب ألباني وأم كردية، وتعلم بالأزهر ودار العلوم وتلمذ للشيخ محمد عبده، وكان من أنصار مصطفى كامل. وكان كاتبًا على الأسلوب يؤثر الفصحى في حديثه، درس العربية والأدب بالمدارس والجامعة، وشارك في تأليف مذكرات في الفقه الإسلامي. توفي سنة: ١٣٤٢ هـ - ١٩٢٤ م

ذلك بعد عودتي من فرنسا بسبب الضائقة المالية التي تعرضت لها الجامعة، فإني لما استدعتني الجامعة سمعت إلى حضور بعض الدروس فيها ولكن على كره مني، وحدث أن حضرت للشيخ المهدي درساً في تاريخ الأدب العربي في الأندلس، وفور سماعي لهذا الدرس تذكرت بعض دروس الآداب في جامعة مونيخ، وكتبت بعد ذلك مقالة وازنت فيها بين المدرسين، وقد غضب مني الشيخ المهدي، وطالب الجامعة بمعاقبتي، لأنني قد ارتكبت جرماً شنيعاً.

وكان العميد قد نشر في مجلة السفور (٣٠ نوفمبر سنة ١٩١٥) مقالاً جاء فيه :

في مثل هذا اليوم من السنة الماضية سمعت لأول مرة درس الآداب في جامعة مونيخ، وكان الأستاذ يدرس قصة وضعها «الفريد دي فيني» على المثال الذي اخترعه الكاتب الإنجليزي «ولتر سكوت» من القصص، فلما خرجت من الدرس سألت صاحبي ضيفاً (يقصد أحمد ضيف) كيف ترى هذه المحاضرة، فقال : لا بأس بها، ولكنها شديدة الاختصار، قلت : إنك لمعرف شديد الطمع يا ضيف، فلو سمعت درساً في الآداب في الجامعة المصرية ورأيت الأستاذ وقد مر في محاضرة واحدة بثمانية من الشعراء في عصر المأمون لعرفت أن صاحبنا في مونيخ قد بلغ الغاية القصوى في الإطالة والإسهاب.

ورجعنا بعد ذلك إلى مصر، وفي اليوم نفسه من هذه السنة سمعت درساً في الأدب العربي في الجامعة المصرية، وأبى ضيف أن يحضره معي؛ لأنه كان عنه في شغل، كان درس الأستاذ المهدي في تاريخ الأدب العربي

الأندلسي أشبه بمعرض العصور المتحركة عُمر في ظلال الشعراء، ولما يتبين منها الطلاب أكثر من أسمائهم.

لم يكن في هذا الدرس شيء يدل على أنه درس في الجامعة، وإنما هو نوع من الحديث يستقرّ سامعيه بما يعرض من الغزل والوصف ومن آيات البديهة والارتجال.

ولا ألوم الجامعة فإنها لم تال جهدًا في حسن الاختيار ولا ألوم الأستاذ، فإنه قد بذل ما يملك وجاد بما يستطيع أن يوجد به، ولكنني أرثى لصاحبي ضيف لأنه حرم نفسه لذة الاستماع لهذا الجميل وحرم معها هذا الألم يشعر به من سمع العلم في جامعات فرنسا، ثم في جامعة مصر، وقارنه بين الأستاذ والطلاب هنا وهناك.

وما كاد هذا المقال ينشر حتى قامت القيامة على العميد ونشرت الصحف أيامًا متوالية أنباء الأزمة التي أحدثتها، وكيف طلب الشيخ المهدي إلى مجلس إدارة الجامعة أن تعاقب الدكتور طه وأن تقسو عند توقيع العقاب على هذا الجرم الشنيع، فتشطب اسمه من قائمة متخرجي الجامعة الذين يتعلمون على حسابها في فرنسا.

ونشرت بعض الصحف أن على بهجت سكرتير مجلس الجامعة استدعى الشيخين عنده فاعتذر الشيخ طه وانتهت المسألة، وزاد لطفى السيد في ترضية الشيخ المهدي فحضر مع طه وآخر من أساتذة الجامعة درسًا من دروس الشيخ، فلما انتهى وقف لطفى السيد ووجه الشكر للأستاذ.

وقالت صحف أخرى: إنه ليس صحيحًا أن طه اعتذر عما نسب إليه إلى

الشيخ من الخطأ العلمي، ونشر سكرتير مجلس الجامعة بياناً في الصحف قال فيه :

«اجتمع لدى الأستاذ الشيخ محمد المهدي، والدكتور الشيخ طه حسين وتكلمنا في شأن ما نشر بجريدة السفرور فيها ينقصها جميعاً، وتفاهما تفاهماً حسناً، واعتذر الشيخ طه حسين إلى الأستاذ الشيخ المهدي عما رآه الشيخ المهدي مأساً بكرامته»<sup>(١)</sup>.

---

(١) مجلة الهلال عند فبراير سنة ١٩٦٦ ص ٩٠، ٩١.

## مصطفى صادق الرافعي<sup>(١)</sup>

من المعلوم أن الرافعي لم يكن على علاقة طيبة بالعميد، وأن الخلاف بينهما لم يكن بسبب كتاب الشعر الجاهلي فحسب، وأن الرافعي قد كتب عن العميد وهو ما زال طالبًا، وأن ما كتبه كان هجومًا عليه، وقد نشر هذا الهجوم في مجلة الزهور في سنة ١٩١٢

وقد اشتد الخلاف بين العميد والرافعي بعد نقد العميد كتب الرافعي وبخاصة السحاب الأحمر، فقد جاء في رسالة بعث بها الرافعي إلى صديقه الشيخ محمود أبو رية حول رأى العميد في ذلك الكتاب: «أما هذا - يعنى العميد - فكل الذين لقيتهم في مصر حتى من أصدقائه هنا بالرد عليه، وحاول بعضهم أن يصلح بيني وبينه فرفضت، وكنت جالسًا عند رئيس تحرير جريدة الاتحاد فحضر ولم أتحرك له، ولم أعبا به وأهمته

---

(١) مصطفى صادق الرافعي من كبار الكتاب والأدباء، أصله من طرابلس الشام، ولد سنة: ١٢٩٨هـ - ١٨٨١م بمدينة طنطا، وقد أصيب بصمم فكان يكتب لمن يريد مخاطبته، عمل كاتبًا بالمحاكم.

له عدة مؤلفات في الأدب وتاريخه وإعجاز القرآن، كما أصدر ديوان شعر من ثلاثة أجزاء، وهو في أدبه رصين الأسلوب، وفي شعره نقي الديباجة على جفاف في أكثره. توفي بمدينة طنطا سنة: ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م

إهمالاً تاماً، وكذلك فعلت معه في إدارة السياسة، وقد ظهر لى أن أخلاقه... وأنه رجل مكابر لا غير». ويقول الرافعى فى رسالة أخرى من رسائله إلى الشيخ أبى ربة:

«فإن هذا الرجل فى باب القديم والجديد «مصلحة تنظيم كاملة»، ومع ذلك فقد ترجم مائة رواية فرنسية ولم يضع واحدة عربية، وانتقد مائة شاعر ولم ينظم قصيدة، وتناول على مائة كاتب ولا تعرف له قطعة بليغة، فأين الجديد فى مثل هذا إلا أن يكون هذا الجديد النقل والترجمة والسرقة والجرأة على ما يحسن وما لا يحسن...»<sup>(١)</sup>.

وفى يوم الجمعة الموافق ١٩٧٠/٤/٢٤، زار العميد مساء الشيخ أبورية، ودار الحديث بينها حول مسائل مختلفة، وكان بينها ما كان بين الرافعى والعميد من خلاف، وقد قال العميد: أنا لا أدرى بالضبط لماذا هاجنى الرافعى، وكان عنيفاً فى هجومه، متحاملاً أشد التحامل، هل ذلك لأنى قلت عن بعض كتبه مثل حديث القمر والسحاب الأحمر إنها غامضة غير مفهومة..

ولم ينته العميد والشيخ أبورية إلى رأى يحدد أسباب الصراع، وهل كان من بينها أسباب سياسية أم أنها كلها تدور فى نطاق الخلاف الفكرى، وإن اتسم هذا الخلاف بالعنف والشقاق بين الرافعى والعميد، وقد قال الشيخ أبورية عن الرافعى: إن الرافعى كان يؤمن بكرامة الأولياء، وقد زرتة يوماً فقال لى حين رأتى: أبشيراً أبارية، فقد زارنى الأقرع فى المنام-

---

(١) من رسائل الرافعى صفحة ٥٠. ط: دار المعارف.

يعنى السيد أحمد البدوى - ويشرن بالشفاء<sup>(١)</sup>، وقد كتبت قصيدة حول  
هذه البشرى أريد نشرها ومطلعها:

مريض على باب أحمد منكب      فيا سيد الفتيان أنت له طب  
ويضيف الشيخ أبوورية:

فلما قال لى الرافعى ذلك وقرأ على القصيدة، قلت له: لا تنشر هذه  
القصيدة الآن فإن شفاك الله فانشرها، وإلا فلا داعى لنشرها حتى  
لا يكون فى نشرها فتنة للناس، فلم ينشر الرافعى هذه القصيدة وظلت  
من آثاره التى لم تنشر..

وضحك العميد بعد سماع مارواه الشيخ أبوورية، ثم قال:  
إن الرافعى لما انتقل إلى جوار ربه وكنت عميداً لكلية الآداب، وكانت  
إحدى بنات الرافعى طالبة بهذه الكلية، وعجزت عن دفع المصروفات،  
وعرفت ذلك طلبت من اللجنة المختصة أن تمتح بنت الرافعى المجانية،  
وذكرت للجنة أنه إذا حالت موانع قانونية دون منح هذه الطالبة المجانية  
فأنا على استعداد لدفع مصروفاتها من جيبى.

---

(١) عاش الرافعى مريضاً بالصمم وكانت الكتابة وسيلة التفاهم بينه وبين  
الناس..

## مصطفى النحاس<sup>(١)</sup>

قال عميد الأدب العربي :

بعد عودتي من أوروبا كانت ثورة سنة ١٩١٩ قد هدأت، ولكن الخلاف كان محتدماً بين سعد زغلول وعدلى يكن، وقد ألمني انقسام المثقفين الذين قادوا الثورة، وأخذت أكتب في جريدة السياسة التي أنشأها الأحرار الدستوريون، وكنت عنيفاً في كتاباتي السياسية، كنت مع عدلى ضد سعد.

ولما أصبحت الجامعة حكومية في سنة ١٩٢٥ لم أتوقف عن الكتابة في السياسة وكنت شديد العنف ضد سعد، وبعد وفاته سنة ١٩٢٧، وكذلك وفاة عدلى في باريس ضعف الحوار بين حزب الأحرار والوفد،

---

(١) مصطفى النحاس زعيم مصرى ولد في سمند بمحافظة الدقهلية سنة ١٢٩٦ هـ - ١٨٧٩ م وتعلم بها وبالقاهرة، وتخرج في مدرسة الحقوق سنة ١٩٠٠ وعمل في المحاماة والقضاء واشترك مع سعد زغلول في ثورته ضد الاحتلال البريطانى واعتقل معه سنة ١٩٢١ ثم تولى وزارة المواصلات سنة ١٩٢٤ م، وخلف سعدا في رئاسة الوفد بعد وفاته سنة : ١٩٢٧ وتولى رئاسة الوزارة خمس مرات، وقد أبرم مع الانجليز معاهدة : ١٩٣٦ م، وألغاهما في آخر مرة تولى فيها رئاسة الوزارة. توفى بالقاهرة سنة : ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

وفي عهد صدقى سنة ١٩٣٢ تعرضت لازمة شديدة بسبب موقفى من الحكومة، وعدم الاستجابة لها فى منح بعض السامة درجة الدكتوراه الفخرية، وقد أحلت على المعاش دون أن يكون لى معاش، ولم تكن كتاباتى السياسية تدر على شيئاً فقد كنت أكتب مجاناً، يضاف إلى هذا أنه لم يكن لدى مال مدخر وتعرضت لازمة شديدة حاولت التغلب عليها بالسلف من بعض الذين تربطنى بهم صلة وثيقة مثل نجيب الهلالى.

فى هذه الظروف جاءنى مصطفى النحاس ومعه مكرم عبيد وعرضاً على رئاسة تحرير جريدة كوكب الشرق، وهى جريدة وفدية، وكان راتبى منها مائة جنيه، ومع هذا لم أوافق إلا بعد أن عرضت الأمر على الأحرار، ونظراً لأن الأحرار والوفديين كانوا متآلفين ضد صدقى وافقوا على أن أتولى رئاسة تحرير تلك الجريدة.

وابتدأ عملى فى كوكب الشرق من شهر مارس سنة ١٩٣٢ إلى شهر سبتمبر ١٩٣٤، وقد تركت هذه الجريدة لأنى عدت إلى عملى فى الجامعة.

وأذكر مثلاً لكتاباتى السياسية الشديدة اللهجة البالغة العنف أن الوفديين منعوا محرر جريدة السياسة التى كان يصدرها الأحرار الدستوريون من حضور جلسة البرلمان، وكان أن كتبت مقالة ضد الوفديين وكانت بعنوان «ضعاف» وكانت المقالة هجومياً قاسياً، ونقداً لاذعاً وسخرية بالغة، وكان من عادى ألا أوقع مقالاتى السياسية، ولكن أسلوها كان ينم عن كاتبها، ولذلك قدمت للمحاكمة بسبب هذه المقالة، وقد نصحتنى بعض الأحرار أن أنكر أن المقالة لى إذا سئلت عنها، غير أنى رفضت هذا وأصررت على عدم الكذب وإنكار مقال كتبتة، وحلاً لهذا

الموقف قال لى المرحوم عبد العزيز فهمى :

إذا سئلت أى سؤال فإن إجابتك دائماً : لا أجيب ..

ويقول العميد :

فلما ذهبت إلى وكيل النائب العام وسألنى هل كتبت مقالة ضعاف ؟  
فقلت له : لا أجيب ، فقال لى : وأين الشجاعة التى تعلمها للطلبة فى  
الجامعة ، فقلت له : لا أجيب .

وهكذا حتى يش منى وقال لى أخيراً : اتفضل اذهب إلى بيتك .

وحضرت جلسة المحكمة التى نظرت قضية هذا المقال وجلست بين  
الحاضرين ، ووقف محامى الوفدين يقرأ المقال ، وفى أثناء قراءته سمعت  
بعض الحاضرين يقول : ابن الكلب أسلوبه قوى جداً ، وما كاد المحامى  
يفرغ من قراءة المقال حتى دوت القاعة بالتصفيق الحاد مما حمل القاضى  
على رفع الجلسة احتجاجاً على هذا التصرف قائلاً : حتى يعلم الناس أن  
للقضاء وقاراً ..

ويتحدث العميد عن علاقته بالزعيم مصطفى النحاس فيقول :

وكان عملى فى كوكب الشرق بداية العلاقة بينى وبين مصطفى  
النحاس ، وازدادت هذه العلاقة وثيقة بمرور الأيام ، وكنت أزوره كثيراً فى  
منزله فى جاردن سيتى ، وكنت إذا ذهبت إليه وانتظرتة فى الطابق الأول ،  
وارتدى ثيابه ونزل من الطابق الثانى فإنه يلقانى باشاً مداعباً قائلاً : طه  
ما أنزلنا عليك القرآن لتشفى - وكان الرجل يستنصحنى فى بعض الأمور  
وكان يأخذ بما أشير عليه ، كما كان ينزل عند رأى إذا اختلفنا ، ولما توليت

الوزارة كنت دائماً أهدد بالاستقالة إذا لم يستجب مجلس الوزراء لطلباتي .  
وقبل أن يقبل الملك الوزارة بعد حريق القاهرة المعروف - وهو حريق  
مدبر اشتركت فيه بعض العناصر الأجنبية - كنت قد اختلفت مع النحاس  
حول موضوع لا أذكره الآن وهددت بعنف بالاستقالة إذا لم تتحقق  
طلباتي، وفي مساء اليوم الذي اجتمع فيه مجلس الوزراء اتصل بي  
النحاس تليفونياً وقال : لقد أقيمت الوزارة، أقالها الملك بدعوى أنها  
عجزت عن حماية الأمن، ثم قال النحاس : وحتى نستريح من تهديداتك  
بالاستقالة .

ولم يحدثني العميد عن علاقته بالزعيم مصطفى النحاس بعد إقالة  
الوزارة، ثم بعد قيام الثورة ولم أدر ماذا قال عنه يوم وفاته، ولكن الذي  
يمكن قوله إن العميد كان يجب النحاس ويأس إليه ويلتقى به كثيراً وإن  
هذا كان يقدر العميد كل التقدير . .

## منصور فهمي<sup>(١)</sup>

قال عميد الأدب العربي :

لقد سافر الدكتور منصور فهمي إلى فرنسا على نفقة الجامعة الأهلية للحصول على درجة الدكتوراه في الفلسفة، وقد اختار الدكتور منصور موضوعاً لرسالته هو: «مركز المرأة في الإسلام»، وقد وقع في بعض الأخطاء التي أثارت عليه الرأي العام بعد عودته من البعثة وعمله في الجامعة، فلما عاد وعين بالجامعة وتحدث الناس عن أخطاء رسالته أبعده عن الجامعة وظلّ مبعداً عنها حتى رجعت من بعثتي وعينت في الجامعة،

---

(١) ولد الدكتور منصور فهمي سنة : ١٣٠٣ هـ - ١٨٨٦ م، وتعلم بالنصرة والقاهرة وسافر في بعثة إلى باريس سنة ١٩٠٨ لدراسة الفلسفة، وقد حصل على درجة الدكتوراه سنة ١٩١٣، وعمل بالجامعة نحو عام ثم أبعده عنها بسبب موضوع رسالته للدكتوراه، ثم عاد إليها سنة ١٩٢٠، وقد تدرج في عمله الجامعي إلى أن كان عميداً لكلية الآداب، ثم اختير مديراً لدار الكتب فمديراً لجامعة الإسكندرية إلى أن أحيل إلى التقاعد سنة ١٩٤٦ م.

كان عضواً بالمجمع اللغوي منذ إنشائه، وانتخب كاتب سره وبقي في هذا المنصب إلى أن توفاه الله سنة : ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩ م.

كان خطيباً فيلسوفاً أدبياً، من آثاره : خطرات نفس... وهي فصول أدبية وفلسفية نشرها في الصحف ثم جمعها في هذا الكتاب.

وقد لجأ إلى ليعود مدرساً بالجامعة، وذهبت إلى ثروت باشا وقلت له : لماذا لا يعين الدكتور منصور فهمي في الجامعة وهو حاصل على درجة الدكتوراه والجامعة في حاجة إليه، وقد أمر ثروت بتعيين الدكتور منصور في الجامعة .

ويستطرد العميد قائلاً :

ومن الغريب أن الدكتور منصور بعد تعيينه في الجامعة وجد أن راتبه أقل من راتبى ، وكان راتبى أكثر منه ، لأن طلبت من الجامعة مبلغاً أدفعه لسكرتير يقرأ لى ، وكانت الجامعة قد رفضت طلبى ، ولما علم الملك فؤاد بما أريد أمر به - المهم أن الدكتور منصور ثار، واعتبر ذلك إهانة له فهو أقدم منى في الحصول على درجة الدكتوراه فكيف يكون راتبى أزيد من راتبه .

وبعد أن أصبحت الجامعة حكومية وتقرر وضع أعضاء هيئة التدريس في درجات جامعية ظل الدكتور منصور مدرساً على حين وضعت في درجة أستاذ، وكان هذا سبباً أيضاً لثورة الدكتور منصور، وبعد ذلك تنكّر لى الدكتور منصور، ونسى أن كنت السبب في عودته إلى الجامعة، وأخذ يتعاون مع بعض الساسة ضدى، ولكن لماذا ألومه وحده، لقد أحسنت إلى الكثيرين فقابلوا الإحسان بالإساءة وكم كانت زوجتى تعتب على، لأنى سريع الثقة بالناس والاطمئنان إليهم وتقديم الخير لهم، ثم لا يكون منهم إلا النسيان والتنكّر والكيد الخبيث في بعض الأحيان .

## نجيب الهلالي<sup>(١)</sup>

قال عميد الأدب العربي :

كانت بيني وبين نجيب الهلالي صداقة حميمة، وكنا نجلس معًا كثيرًا في نادى الوفدين، ولما أحلت على المعاش بسبب موقفى من الحكومة ورفض طلبها منح بعض الساسة درجة الدكتوراه الفخرية من كلية الآداب، لم يكن لى معاش ولم يكن لدى مال مدخر أنفق منه، وقد لجأت إلى نجيب الهلالي واستلقت منه مبلغ مائة جنيه.

وفى سنة ١٩٣٤ تغيرت الوزارة وأصبح رئيسها توفيق نسيم باشا، وتولى نجيب الهلالي فيها وزارة المعارف فأعادنى إلى الجامعة، ودفع لى مكافأة عن الستين التى أمضيتها مدرسًا فى الجامعة قبل أن يحيلنى صدقى

---

(١) من رجال السياسة والقضاء بمصر، ولد بأسبوط سنة ١٣٠٨هـ - ١٨٩١م وتخرج فى مدرسة الحقوق سنة ١٩١٢م، ودرس بها، وعمل فى المحاماة، وتدرج فى مناصب القضاء، وتولى الوزارة أكثر من مرة، وتولى رئاستها مرتين قبيل قيام ثورة ١٩٥٢، وبعد الثورة عاد إلى عمله فى المحاماة، ثم اعتكف فى منزله إلى أن توفى سنة : ١٣٧٨هـ - ١٩٥٨م

كان خطيبًا لبقًا، وله من المؤلفات : شرح القانون المدنى فى العقود، وكتاب البيوع.

في سنة ١٩٣٢ على المعاش، ومن هذه المكافأة رددت إلى نجيب الهلالي  
المائة جنيه التي استلمتها منه .

إن نجيب الهلالي عينني مديراً للجامعة الإسكندرية وبقيت شهوراً ثم  
أحالني أحمد ماهر إلى المعاش سنة ١٩٤٤ .

وأذكر أن نجيب الهلالي حين كان وزيراً للمعارف دعى للمشاركة في  
حفل بمناسبة مرور ألف سنة على مولد الفردوسي مؤلف الشاهنامه،  
فجاءني وقال : والله يا أخى لا أعرف شيئاً عن الفردوسي هذا وطلب مني  
أن أكتب له كلمة عن الفردوسي، وكتبت له الكلمة وألقاها نجيب في  
الحفل، وكنت هناك وبعد انتهاء الحفلة اقترب مني لطفى السيد وهمس في  
أذن : عليك أن تغير أسلوبك إذا كتبت لغيرك حتى لا تسب لمن تكتب  
لهم إحراجاً .

ويضحك العميد ويقول :

لقد كان نجيب الهلالي محامياً قديراً، وكان يتمتع بالذكاء ومحبة  
النكته، وظلت علاقتي به طيبة للغاية إلى أن نجح الوفد في انتخابات سنة  
١٩٥٠، فلما عرضت وزارة المعارف على نجيب رفضها؛ لأن زوجته  
هددته إن قبلها أن تتركه وتذهب إلى منزل والدها، فلما عرض على  
النحاس وزارة المعارف قبلتها وبعد ذلك قاطعتني نجيب وفسد الحال بيني  
وبينه .

ويضيف العميد :

إن نجيب الهلالي كان يحب الشرب كثيراً، لكنه في السنين الأخيرة من  
حياته عكف على قراءة كتب التصوف والزهد، ولما زارني الأستاذ محمود

غزال - وكان وزيراً للزراعة في وزارة الهلالى - قلت له : قل لنجيب بأن يترك القراءة في كتب التصوف، لأنها تورث الجنون، وعليه بقراءة القرآن إذا شاء..

ويختتم العميد حديثه عن نجيب الهلالى بأن الهلالى هو أول من جعل التعليم الابتدائى بالمجان ولم يكن قبله كذلك، وأنه عين فريد شحاتة - وهو السكرتير الذى عمل مع الدكتور نحو أربعين سنة - عينه في وزارة المعارف حينما كان الهلالى وزيراً لها، وقد عينه في الدرجة الرابعة مع أن مؤهل فريد هو الابتدائية القديمة، ولم يتمكن من الحصول على شهادة أعلى منها على الرغم من المدة الطويلة التى عمل فيها معى، ولذلك لم يستمر فريد في هذه الوظيفة إلا مدة بقاء الهلالى في الوزارة، لأن الوزير الذى تولى بعده طرد فريد من وظيفته.

على أنى عملت مستشاراً لوزارة المعارف في عهد نجيب الهلالى، وأذكر أنى عاوت صديقنا زناق وأنا أعمل مستشاراً لوزارة المعارف، وذلك لأن زناق ليس له إنتاج أدبى إلا تحقيق الجزء الأول من الفصول والغايات، ولولا أن الوزارة اشتركت في الكتاب واشترت منه نسخاً كثيرة - وكان ذلك بأمر منى - فإن زناق لم يكن يستطيع طبع هذا الكتاب..

## وبعد

فهذا ما حدثني به العميد عن علاقته ببعض أعلام عصره وقد التزمت فيها كتب ما قاله نصاً أو معنى، وكنت أستطيع أن يكون هذا الكتاب أكبر حجماً وأغزر مادة عن طريق الرجوع إلى بعض المصادر، ولكني آثرت أن أقصر فيه على ما سمعته مهما يكن مقداره، ولم يكن رجوعي إلى مصدر أنقل منه نصاً إلا لأن العميد قد أوماً في حديثه إلى هذا النص، ومن ثم يصبح هذا الكتاب كما جاء في مقدمته - رواية أكثر منه دراسة - .

على أن بإذن الله ساعد كتاباً آخر عن العميد تحت عنوان « أيام مع طه حسين » وفي هذا الكتاب تسجيل كامل لمذكرات يومية دونت فيها جميع ما سمعت ورأيت، سواء أكان هذا يدور في نطاق الفكر والسياسة أم في نطاق الحياة الخاصة للعميد وكيف كان يجيا في العقد الأخير من عمره .

والذي يلاحظ من خلال هذا الكتاب الذي روى طرفاً من علاقة العميد ببعض أعلام عصره - أن العميد عاش حياة طابعها الصراع، وأنه لم يلتق من الذين أحسن إليهم إلا العقوق والنكران، وأن هذا كان يؤلمه أشد الألم، ومع هذا لم يحمل قلبه الحقد والضعف لأحد حتى مع خصومه الذين انحدر بعضهم إلى الشتائم المقذعة .

والحقيقة أن الذين كانوا يذكرون العميد في مناسبات التحية والتهنئة

عدد قليل، وأن تلاميذ العميد - وما أكثرهم - فضلاً عن أقرانه، قد انصرفوا عنه في الأعوام العشرة الأخيرة من عمره، وهي الأعوام التي سعدت فيها بلقاء العميد والعمل معه، وأذكر يوماً أن تلميذة له جاءت لزيارته ظهراً ودون موعد سابق، فرفض لقاءها؛ لأنها جاحدة وعاقبة، فهي لم تزره منذ زمن طويل مع أنه درس لها وهي طالبة في الجامعة ثم أشرف عليها حتى أخذت درجة الدكتوراه، وكم كانت تتردد على بيته تقرأ عليه ما أنجزت من رسالتها، فلما صارت إلى ما صارت إليه من الشهرة والعمل في الجامعة، نسيت أستاذها، ولم تعد تزوره أو تجامله، وهكذا كان العميد يشكو من الذين تنكروا له وتخلوا عنه، ويردد دائماً: إن نكران الجميل شيء فظيع.

وفي النية بإذن الله إخراج كتاب ثالث يتعرض للحديث عن الذين عملوا مع العميد وبخاصة الأستاذ فريد شحاتة، ثم آخر مقال كتبه العميد، والكتب التي قرأها معه، ونشاط العميد في المجمع بعد رئاسته له، وعلاقة العميد بأهله وأقاربه، وأخيراً زوجة العميد والصورة الحقيقية لها.

وأرجو أن أؤدي بهذا كله بعض ما يجب على قبل العميد، ونحو تاريخنا الأدبي والسياسي الحديث.

دكتور محمد الدسوقي